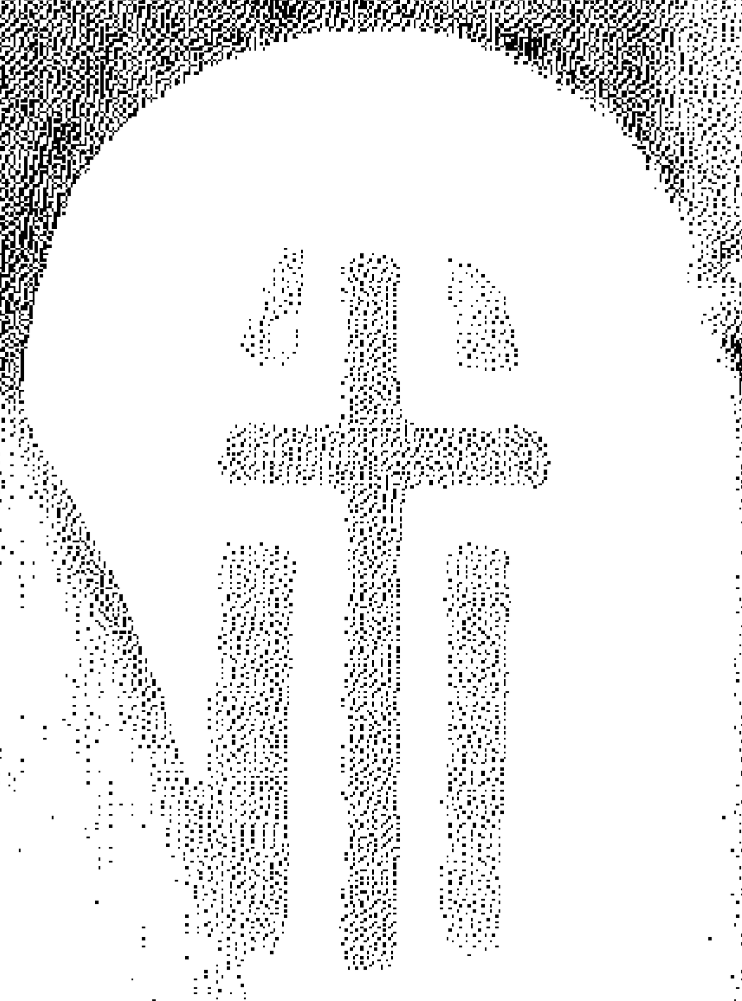
كتاب الهلال

حواء ذات الوجوه الثلاثة

بقلم: أمينة السعيد







سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال

رئيس مجلس الإدارة : مكرم محمد أحمد
نائب رئيس مجلس الإدارة : عبد الحميد حمروش
رئيس التحرير : مصطفى نبيل
مدير التحرير : عايد عياد

مركز الإدارة :

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب تليفون . ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط
العدد ٤٧٩ - ربيع ثان - نوفمبر ١٩٩٠ KITAB AL-HILAL

المكاتبات : ص . ب ٦١٠ العتبة - القاهرة - الرقم البريدى ١١٥١١ -
تلغرافيا : المصور - القاهرة ج . م . ع .
تلكس : TELEX 92703 HILAL U.N.
فاكس : FAX 3625469
مكتب الاسكندرية : ٢٥ شارع النبى دانيال - ت : ٤٩١٢٦٩٦ / ٤٩٢٤٧٢٠

أسعار البيع للعدد الممتاز فئة ١٥٠ قرشا :

لبنان ١٧٥٠ ليرة تونس ديناران الاردن ١ دينار المغرب ٢٠ درهما الكويت ١ دينار البحرين ١٢٠٠ فلس العراق ١ دينار الدوحة ٨ ريالات السعودية ٧ ريالات الامارات ٨ دراهم مسقط ٨٠٠ بيزة غزة والضفة والقدس ١,٥٢ دولار لندن ١,٥٠ جك

الغلاف بريشة الفنانة
سميحـــة حسنيـــــن

حوّاء
ذات الوجوه الثلاثة

بقلم

أمينة السعيد

.....•.....

دار الهلال

مقدمة

●● هذه القصة ننقلها الى قرائنا وقارئاتنا من تقرير طبى تقدم به اثنان من قمم التحليل النفسى بامريكا ، وهما دكتور « كوربيت تيجبن » والدكتور « هرفي كليكلى » المختصان فى الأمراض النفسية والعصبية والاستاذان بكلية الطب التابعة لجامعة جورجيا .

ولقد كان هذان الطبيبان دائما زميلين تعلما معا بكلية الطب التابعة لجامعة جورجيا ، وبعد ان تخرجا بامتياز التحقا بسلك التدريس فيها ، ومارسا التحليل النفسى فى عيادة خاصة بهما .. وكانت اعجب حالة مرضية عرضت لهما هى حالة السيدة « ايف هوايت » المصابة بازدواج الشخصية ، وقد استغرق علاجها سبعة اعوام كاملة .

وموطن الاهمية فى هذه المريضة ان ازدواج الشخصية ظل الى حين ظهور « ايف هوايت » على مسرح حياة الطبيبين مجرد مرض يرد ذكره فى المراجع العلمية الخاصة بالطب النفسى ، ولكن لم يسبق ان ظهرت لهذا المرض حالة واحدة تعين على اثبات النظرية عمليا .. لذلك عندما سجل الطبيبان هذه الحالة الاولى من نوعها فى تقرير رسمى ، وارسلاه الى « الجمعية القومية للامراض النفسية الشاذة » رجاء نشرها فى المجلة الدورية لهذه الهيئة العالمية ، رفض مجلس ادارة

الجمعية ان ينشر التقرير الا بعد ان يتقدم الطبيبان اليه بجميع الوثائق والتسجيلات الصوتية والمرئية الخاصة بمريضتهما والمؤكدة لصدق كل صغيرة او كبيرة مما ورد فى تقريرهما .. كما اشترطت الجمعية ايضا ان يتقدم الطبيبان بمريضتهما شخصيا الى لجنة موسعة من كبار اطباء العلاج النفسى لفحصها على الطبيعة ، والتأكد من صحة هذه القضية العلمية .

وقبل الطبيبان « تيجبن » و« كليكلى » هذه الشروط بمنتهى الرضا ، واستأذنا المريضة فى ذلك وحصلا منها على موافقة كتابية بشرط الا يعلن عن اسمها الحقيقى منعا للتشهير ، ثم عرض الموضوع فى اجتماع موسع على « الجمعية القومية للامراض النفسية الشاذة » وكانت المريضة مسز « ايف هوايت » هى بنفسها احدى الوثائق الدامغة لصحة هذه القضية المهمة .

وقامت الجمعية بالبحث على نحو بالغ الدقة ففحصت حالة المريضة على الطبيعة ، ونوقشت فى كل مايتصل بمرضها ، كما درست كافة التسجيلات الصوتية التى اخذت لها خلال جلسات العلاج النفسى مع اشرطة سينمائية لها فى حالاتها المختلفة وبعد ان ثبتت صحة الدعوى بما لايدع مجالا للشك ولو ضئيلا سمح للطبيبين بنشر بحثهما فى مجلة الجمعية لكى يصبح مرجعا ثمينا يثرى المكتبة الطبية النفسية بهذا البحث الاول فى نوعه .

ومما هو جدير بالذكر ان نشر البحث اثار ضجة ضخمة فى جميع الاوساط الطبية ، وبعث كثيرون من كبار المختصين فى جميع انحاء المعمورة يطلبون اشراكهم فى موالاة علاج مسز « ايف هوايت » بل وكتب بعضهم الى رئيس الولايات المتحدة

مباشرة رجاء السماح بالاسهام فى العلاج ، كما نشرت الجرائد والمجلات صفحات من عجائب هذه الحالة ، وقامت الشركات السينمائية بتقديم افلام مستوحاة منها ..

●● تبدأ القصة يوم احال احد الاطباء الباطنيين مريضة له الى العيادة النفسية الخاصة بالطبيبين « تيجبن » و« كليكلى » راجيا منهما ان يفحصاها نفسيا لمعرفة اسباب الصداع الرهيب الذى ينتابها ويعذب حياتها ، بعد ان عجزت جميع الوسائل الطبية عن علاجه ، كما اسفرت البحوث والفحوص والتحليلات المختلفة خلو جسدها من اى مرض يمكن ان يؤدى الى هذا الصداع .

وبناء على هذه التوصية تحدد موعد لمقابلة المريضة ، وتولى احد الطبيبين مهمة البحث فى امرها ، وحين دخلت غرفة الكشف لم يبد فى مظهرها او حركاتها او تصرفاتها انها حالة شاذة ، او حتى مثيرة للاهتمام .. فلقد كانت عادية فى كل شىء .. عمرها لا يزيد على خمسة وعشرين عاما .. نحيفة القوام بشكل لاينم عن اى مظهر للانوثة الناضجة .. بسيطة الهندام الى حد يوحى بالزهد . فالثوب الرمادى الكالح الذى ترتديه يبدو وكأنه قد حيك دون عناية وباسرع مايكون ليغطى جسدها كله ، ويخفى معالمه تحت طياته الفضفاضة ، هادئة الصوت بطيئة الحركة ، بليدة النظرات ، عديمة اللون كانسانة ليس فيها ما يميزها عن اى مخلوقة دون المتوسط من مئات المخلوقات التى نلقاها فى الطريق كل يوم ..

وبصوت رتيب راحت تصف للطبيب حالات الصداع الشديد التى اخذت تنتابها منذ عدة اشهر ، واخفق الطب فى تخليصها منه .. وعلى عكس معظم المرضى بالصداع ، لم

تستعن فى وصف ألمها بالفاظ قوية او عميقة ، مثل صداع « قاتل » او صداع « جنونى » ، بل اكتفت فى التعبير عنه باسلوب هادىء تخلو نبراته تماما من رنة التأكيد والحماسة ..

كانت فى كل مايبدو منها امرأة وديعة وقورة ، تجلس على المقعد فى مواجهة الطبيب وهى تضم ساقيها وتعقد يديها فى حجرها ، وتتحدث بوضوح ولكن فى نبرات غاية فى الرتابة والهدوء .. شعرها الناعم ذو لون اسود فاحم ، وعيناها الزرقاوان واسعتان ، وانفها صغير دقيق ، وفمها ذو الشفتين الرقيقتين يخفى اسنانا منتظمة ناصعة البياض ، وكانت هذه المواصفات التى حبتها الطبيعة كفيلة بتقديم امرأة غاية فى الجمال ، ولكن لامر ما لم تكن المريضة على اى قدر من الجمال ، ومنظرها لا يوحى بأية جاذبية .. أو حتى مجرد الاحساس بوجودها .

وانساقت فى الحديث ، وروت بصوتها الخامل الرتيب كيف خابت حيل الاطباء فى انقاذها من الصداع ، وبعد ان اثبتت الفحوص والتحليلات خلو جسدها تماما من اى علة قد تؤدى الى الصداع ، فنصحها طبيبها الخاص بالسفر من البلدة التى تعيش فيها الى العيادة النفسية فى « جورجيا » وهى تقع على بعد مائة وخمسين كيلو مترا لبحث الموضوع من الناحية النفسية .

وعاد الطبيب النفسى يتأملها بمنتهى التدقيق ، فلم يجد فيها ما ينم عن المرض النفسى او العصبى ، اذ ظلت طول الجلسة هادئة مسيطرة على عواطفها ، متأدبة كأنها تلميذة مطيعة تجلس امام استاذها ، رأسها يتدلى قليلا الى الامام ، وظهرها ينحنى بعض الانحناء .. شكلها عموما يدل على انها

امرأة جادة بكل ما فى الوصف من معنى ، بل ويوحى بانها لم تبتسم مرة فى حياتها ، ولاتعرف الابتسام .. وحاول ان يتصورها ايام طفولتها ، فخيل اليه انها لم تعاكس احدا أو تنفجر باكية مثلما يحدث لجميع الناس وهم صغار .

وسألها الطبيب عن مشكلات حياتها ، فراحت تروى له بلا ادنى حرج من الاحداث ماهو كفيل باثارة القلق فى نفس اى انسان عادى .. فمنذ ست سنوات تزوجت بشاب فى مقتبل الحياة ، يختلف عنها فى مذهبه الدينى ، فهو كاثوليكى وهى بروتستانتية .. ولفرط تدين هذا الشاب اشترط لاتمام الزواج اجراءه فى الكنيسة الكاثوليكية ، ولم تقبل الكنيسة ان يعقد لاحد رعاياها على بروتستانتية الا بعد ان قبلت « ايف » ان تتعهد امام القساوسة على تنشئة ابنائها المستقبلين على مذهب ابيهم ، وبالفعل اقسمت على الوفاء بهذا الشرط ، وفى نيتها ان تفى بعهدها ، وان تتحمل مسئولياته كاملة .

وفى جلستها الاولى مع الطبيب النفسانى ، اعترفت بانها لم ترزق خلال السنوات السبع التى مضت على زواجها الا بابنة واحدة اسمها « بونى » وانها رغم تعهداتها السابقة وعزمها على الوفاء بها لم تستطع ان ترسل ابنتها لتعمد فى الكنيسة الكاثوليكية ، لعدم اقتناعها بان هذا المذهب هو الطريق السوى الى الحقائق الدينية والخلاص الربانى .

وبناء عليه رفضت « ايف هوايت » ان تعمد ابنتها فى الكنيسة الكاثوليكية ، كما امتنعت عن ارسالها الى مدارس الاحد التابعة لهذه الكنيسة خوفا من ان يحشو رأسها وهى مازالت فى بداية العمر بمعلومات دينية تؤثر على ايمانها وتغريها بسلوك طريق قد لايقبله عقلها عندما تكبر وتبلغ مرحلة

النضج الفكرى والنفسى .

وتصدى زوجها « رالف هوايت » لهذا التصرف بمنتهى التعصب والتشدد ، واصر على ان تعمد ابنته فى كنيسته وتذهب الى مدارس الاحد التابعة لها ، وفاء بالعهد الذى قطعته على نفسها بمحض ارادتها واختيارها يوم وقفت بجانبه امام القس لاول مرة بعقد قرانهما .. ثم قابل تعنت زوجته بتعنت مثله ، فرفض بعناد ان تلتحق ابنته بالمدارس التابعة للمذهب البروتستانتى ، خوفا من ان تقع من صغرها تحت ضغوط دينية قد تتحكم فى مجرى مشاعرها الى نهاية حياتها .

وراحت السيدة « ايف هوايت » تسرد تفاصيل هذه المشكلة التى نشبت بينها وبين زوجها على اثر مولد ابنتها « بونى » ولكن صوتها اثناء الكلام ظل هادئا رتيبا لا اثر فيه لنبرات الغضب او الحماسة او الانفعال .. وكل ما فى الامر انها كانت بادية الحيرة لاتعرف ما اذا كانت فى تصرفها هذا على خطأ او صواب .. ولم تتحرج عن التصريح بخزيها لعدم وفائها بالعهد الذى قطعته على نفسها يوم تعهدت .. بل واقسمت ، للقس الذى عقد زواجهما بان تجعل جميع الابناء الذين تنجبهم من « رالف » كاثوليكيين مثله ..

ولم تحاول « ايف » خلال حديثها الطويل ان تحمل زوجها تبعة ما اصاب حياتهما الزوجية من تصدع ، او تقصر عليه مسئولية الاحزان التى تعانيها . بالعكس كانت تلوم نفسها معظم الوقت ، وتلتمس له الاعذار فى غضبه عليها لاخلالها بالعهد الذى قطعته على نفسها ، حتى عندما كان غضبه هذا

يخرج عن حدود الوقار ، وينزل بها الاذى النفسى والجسدى ..

وبجهد جهيد امكن للطبيب النفسى ان يستدرجها الى سرد تفاصيل المعارك التى اصبحت جزءا لايتجزأ من حياتهما اليومية ، الامر الذى جعلها خلال الاشهر الاخيرة محرومة تماما من اى قدر من عطف زوجها عليها وصداقته لها . فلقد تحول « رالف » بتأثير خلافهما على المصير الدينى لابنتهما الوحيدة الى رجل ناقم ساخر لايكف عن نقدها واختراع الاسباب لاهانتها والتنكيل بها ، حتى بلغ به الامر ان تطاول عليها بصفعها على وجهها الامر الذى لم يسبق له ان فعله مطلقا طوال السنين السبع التى مضت على زواجهما ..

وعلى الرغم من انها اعترفت بانها كانت صفعة خفيفة لكن اثرها النفسى جاء بالغ الشدة ، خاصة وانه لم يصدر منها اى شىء يستدعى هذه الاهانة الجسدية .

ولم يستطع الطبيب الا ان يصدقها فى كل كلمة قالتها .

فامرأة بهذا التسامح الاصيل والرقة المتناهية لا يمكن للعقل ان يتصورها فى معركة حامية مع زوجها او غير زوجها مهما كانت الظروف .. فلقد جبلت بطبيعتها على الوداعة والتدين وقلة الحيلة ، وهى من النوع الذى لو ضرب على خده الايمن لادار خده الايسر .. ولايمكن لرجل ان يضربها الا اذا كان شاذا بالغ القسوة .

قالت للطبيب فى صوت ينم عن الحيرة والعجب : لست اعرف ما الذى يثيره فى تصرفاتى حتى يصب براكين غضبه على رأسى هكذا ! فأنا لم ارتكب خطأ فى حقه ، وهو كما اعرفه جيدا رجل عاقل غاية فى الاتزان ولابد من سبب قوى يدفعه الى مثل هذا التصرف .

ثم غلبت صوتها رنة الحزن والاسى وقالت : لقد بذلت أقصى جهدى فى اسعاده ، وكنت فى كل لحظة امينة على عرضه وماله ، ولكنى رغم هذا كله فشلت فى رسالتى الزوجية فشلا ذريعا .

وحاول الطبيب ان يطرق موضوع العلاقة الزوجية بينهما ، فتحرجت فى البداية عن الكلام ، ثم لم تلبث ان اعترفت بانها عجزت فى هذه الناحية عن ارضائه ، وانها من جانبها فقدت الرغبة فى اداء واجبها الزوجى ، ولقد اصبحت على ثقة تامة بان زواجهما قد تحطم تماما على صخرة هذه العواصف الهوجاء ، ومع ذلك لايمكن ان تفكر فى الطلاق ، لانها بتدينها الاصيل تأبى ان تخطىء مرتين ، ففى المرة الاولى اقسمت امام المذبح ان تجعل ابناءها المستقبلين على مذهب ابيهم ثم تراجعت بعد مولد «بونى» ولاتريد ان تضاعف الخطأ بالانفصال عن زوجها الذى اقسمت فى الكنيسة على ان تشاركه مر الحياة وحلوها الى ان يفرق الموت بينهما ، ثم كانت هناك ابنتها الطفلة « بونى » التى لابد ان يشقيها طلاق والديها ، وهو المصير الذى تفضل « ايف هوايت » ان تموت دونه .

وانقضت ساعات والمريضة فى حديث مستمر مع الطبيب النفسى .. وخلال هذه الساعات لم يرتفع صوتها مرة .. ولم تذرف عيناها دمعة ، ولم يتحرك فمها بتنهدة او آهة .. ذلك ان شخصيتها الهزيلة الباهتة لم تكن تقوى على التعبير عن احزانها بالحماسة او الغضب او الانفعال ، وكل ما استطاع الطبيب ان يَستشفه منها ، انها تخفى وراء مظهرها البليد قدرا كبيرا من اليأس والحيرة والحب الجنونى لابنتها ، بل والرعب من أن تحرم فى يوم من الايام من رعاية هذه الصغيرة الغالية ..

ولم تبق امام الطبيب سوى قضية الصداع الذى يطاردها بقسوة ، ويشتد احيانا حتى تصاب بما عبرت عنه « بالاغماء » او « فقدان الذاكرة » .. ولقد اثرت هذه المحنة التى لم يجد الطب لها مبررا فى حالتها الصحية عموما مما افقدها الرغبة فى الطعام فنحل جسدها وتدهورت قوتها .

وانتهت الجلسة الاولى مع الطبيب النفسانى دون ان يجد في هذه المريضة ما يستوقف النظر او يثير الاهتمام ، فكل ما شكت منه ليس بجديد ولا غريب ، والامر لم يكن يستحق في الحقيقة ان تتكبد هذه المسكينة مشقة السفر الطويل طلبا للعلاج النفسي .

وصرفها الطبيب من عنده الي موعد اخر دون ان يخطر بباله ان « ايف هوايت » هذه المخلوقة الباهتة الضعيفة ، سوف تقدم فى المستقبل الغريب بحالتها المرضية ظواهر تتحدى كل ما اصطلح عليه الطب النفسي من قواعد علمية معترف بها ، وانه بتقريره عن هذه الحالة سوف يهز اركان المجامع العلمية لسنوات قادمة ..

■ ١ ■

مضت اسابيع عدة والمريضة تواظب على رؤية الطبيب بغاية الانتظام وبمرور الايام اخذت صحتها تتحسن تحسنا ملموسا .. حقيقة ان الصداع ظل يتردد عليها ولكن بصورة اخف ، وعلى فترات اكثر تباعدا .. ولم تعد تشكو من غيبة الوعي او فقدان الذاكرة .

وشجع ذلك الطبيب على استدعاء زوجها « رالف هوايت » للتحدث معه فى المشاكل التى تقلق حياتهما الزوجية .

ولبى « رالف هوايت » الدعوة بلا ادنى تردد ، واظهر غاية استعداده للتعاون .

وفى حديثه مع الطبيب اكد صحة جميع المعلومات التى سبق ان ادلت بها زوجته ، واعترف بان « ايف » كانت تبدو احيانا فى حالات غريبة عن طبيعتها التى الفها الناس بها ، وان هذا التغيير كان يثير غضبه عليها رغم يقينه من انها امرأة فاضلة ، وزوجة صبور دءوب ، وام بالغة الحنان والتفانى .

قال : منذ عرفتها قبل زواجنا وهى مثل لا يبارى فى الرقة والهدوء والتسامح ، ولعله السبب فى اننى حين رأيتها فى الفترة الاخيرة تتغير لم استطع الا ان أثور عليها .. ولا انكر اننى ذهبت فى ثورتى الى حد القسوة احيانا ، وعذرى انها

عودتنى على ان تكون دائما فى هدوء النسيم العليل وجماله ، ولم اكن اتوقع انها قادرة على التغير ، فلما تغيرت فقدت السيطرة على نفسى رغم ارادتى .

ولما سأله الطبيب أن يفسر ما قصده بتغير زوجته فى بعض الاحيان ، قال فى حيرة بالغة : لست استطيع على وجه التحديد ان اقدم لك امثلة واضحة على هذا التغير ، لكنها كانت تبدو لى احيانا وكأنها اصيبت بمس من الشيطان .. ولست ممن ينكرون ضرورة تفاهم الزوجين فيما ينشب بينهما من خلاف ، وكانت هذه سياستنا معا خلال الفترة الاولى من حياتنا الزوجية ، غير انها تخلت عن هذه السياسة دون مبرر ، واصبحت ترفض حتى مجرد الحديث فى خلافاتنا .

واحس الطبيب ان الزوج لا يولى اهمية لمعاناة زوجته ، وانه يتذرع بالتهم العائمة لافتقاره الى الادلة الواقعية على صدق ماينسبه اليها من تغير .

ومع ذلك فقد دعا الطبيب الزوجين الى جلسة مشتركة ، وقدم لهما النصيحة الخالصة بضرورة التفاهم معا فى كل مايقوم بينهما من اسباب الخلاف حتى تنتهى المشاكل فى بدايتها ، دون ان تترك رواسب تسىء الى العلاقة الزوجية بتراكمها .

وعاد الزوجان الى بلدتهما فى هدوء ..

ومضت اسابيع متتالية ولا من خبر للطبيب عن مريضته ، فتصور ان « رالف » و« ايف » قد اخذا بنصيحته فخفت وطأة المشاكل بينهما ان لم تكن قد انتهت تماما .. وشجعه على هذا

الاعتقاد انها كانت قبل عودتها الى بلدتها قد احرزت تحسنا ملموسا فى صحتها ، اذ خفت وطأة الصداع كثيرا عن ذى قبل ، وتباعدت فتراته بدرجة تدعو الى الاطمئنان ، كما زالت نوبات غيبة الوعى وفقدان الذاكرة التى كانت فى البداية تشكو منها ..

لكن اطمئنان الطبيب لم يلبث ان انهار فجأة .

كان ذلك عندما تلقى رسالة من « رالف هوايت » ينبئه فيها بعودة الصداع الى زوجته ويرجوه ملحا ان يسرع بتحديد موعد لاستئناف علاجها .

وجاءت « ايف » فى الموعد المحدد وهى غاية فى التوتر ..

وشكت له من عودة الصداع بعنف بالغ مما يسبب لها العذاب ليل نهار ، كما اشارت فوق ذلك الى انها تعانى من الارق المستمر ، ولا تنام فى الليلة الواحدة اكثر من ساعتين او ثلاثة .. وحتى فى خلال هذه الفترات القصيرة تهاجمها الكوابيس التى تأتى دائما على شكل واحد لايتغير . فهى ترى نفسها دائما وكأنها فى غرفة عظيمة الاتساع شكلها غير واضح المعالم ، وفى وسطها بحيرة عميقة مياهها خضراء اسنة تعوم فيها هى وابنتها « بونى » فى حين يقف زوجها « رالف » مع عمها على الشاطىء يرقبانها .. وتحاول « ايف » بكل ما تملك من قدرة على السباحة ان تبتعد عنهما بابنتها « بونى » ولكنها تفشل تماما ، فكل جهد تبذله فى الابتعاد يقربها منهما اكثر حتى تصل رغم انفها الى زوجها على الشاطىء وتسلم له « بونى » التى تريد ان تهرب بها منه .. وعندما يأخذ زوجها ابنته يتقدم عمها الذى تحبه من كل قلبها

، ويضغط بيديه على رأسها ليغرقها فى الماء الاخضر الاسن ..

ويتكرر هذا الحلم كل ليلة بذات الشكل ونفس التفاصيل ..

وحاول الطبيب ان يدفعها الي تفسير هذا الحلم في ضوء احداث حياتها ، لكنها ابدت منتهى العجز فى ايجاد الصلة بين الاثنين .

واقترح الطبيب عليها ان تسمح له بتنويمها مغناطيسيا ، فقبلت بلا ادني تردد ، وحين استغرقت في النوم امرها ان تعيد سرد الحلم بمجرد ان تستيقظ وتربط بين تفاصيله واحداث حياتها ..

ونجحت هذه الطريقة فى اطلاق لسانها .

فبمجرد ان استيقظت من النوم المغناطيسى ، امكنها بمنتهى السهولة ان تربط بين الحلم واحداث حياتها ، ففسرت الغرفة الكبيرة بحياتها الزوجية ، والمياه الخضراء الآسنة بالعقيدة الدينية لزوجها ومحاولاتها للابتعاد بأبنتها عن الشاطىء الذى يقف عليه « رالف » وعمها هى التعبير عن رغبتها فى الحيلولة دون انخراط « بونى » فى المذهب الكاثوليكى الذى تشعر « ايف هوايت » البروتستانتية انه لايمكن ان يحقق لابنتها الحبيبة ما تنشده لها من استقرار روحى ، اما ضغط عمها على رأسها لاغراقها ، فلانه كان الشخص الوحيد فى اسرتها الذى يرى ان تترك ابنتها تسير على مذهب ابيها وفاء بالعهد الذى قطعته على نفسها بمحض ارادتها واختيارها امام القساوسة يوم زواجها .

ولم يكن تفسيرها للحلم ذا اهمية فى حد ذاته ، غير ان الحديث فيه ومناقشته منحاها قدرا من الراحة النفسية نتيجة لتخفيف الضغط العصبى الذى كان على وشك ان يحطمها نهائيا بسبب عدم قدرتها على الافصاح عن الافكار الطاحنة التى تجول بذهنها .

ولدهشتها البالغة توقف الصداع بمجرد ان بدأت الحديث ، وتركت مكتب الطبيب فى نهاية الجلسة وهى منشرحة الصدر هادئة النفس كما لم تكن فى يوم منذ عرفها الطبيب عند بداية حضورها اليه .

ومضى عام كامل والمريضة فى حالة صحية جيدة .

وفى خلال هذا العام لم تر « ايف » ضرورة لزيارة الطبيب سوى مرتين او ثلاث لمناقشته فى امور ليست ذات بال .

ثم تسلم الطبيب منها رسالة تثير غاية الحيرة ، ذكرت فيها ان الخلاف قد احتدم بينها وبين زوجها كما لم يحتدم من قبل ، ولذلك فقد قررت ان تنفصل عنه نهائيا بالطلاق ، ثم مضت تتحدث عن اشخاص ووقائع غريبة تماما عن الطبيب ، ولم يسبق لمريضته ان عرفته بها او حدثته عنها .

ورأى الطبيب ان الخطاب كان مكتوبا فى الأصل لشخص غيره ، وان « ايف هوايت » اخطأت ووضعته فى مظروف باسمه ، لذلك اسرع باعادته اليها بواسطة البريد المستعجل ، لكى يجنبها الاحراج باكتشاف غلطتها .

ولم ترد منها اخبار بعد ذلك حتى جاء زوجها ذات يوم يطلب من الطبيب استئناف علاج زوجته التى ساءت حالتها اخيرا

على اثر خلاف شديد نشب بينها وبينه اثناء زيارتها لابنة عمها « فلورنس » التى تعيش فى بلدة مجاورة لولاية كولومبيا .. وكانت ايف قد كتبت اليها الرسالة التى جاءت الى الطبيب على سبيل الخطأ .. واعترف الرجل ان الخلاف احتدم كما لم يحتدم من قبل ، ووصل الى درجة العنف مما ادى الى اتفاقهما على الانفصال فورا .. وبناء عليه جمع « رالف » حوائجه وجلس بالبيت ينتظر عودتها لتجمع هى الاخرى حوائجها وتغادر المنزل عائدة الى ابنة عمها « فلورنس » الى ان يقوم المحامون باجراءات الطلاق .

ووصف الرجل ما اصابه من دهشة بالغة حين فوجىء بزوجته تعود باسمة الثغر مشرقة الوجه ، ولما رأته جالسا فى انتظارها انحنت عليه تقبله على عادتها عندما تلقاه بعد فراق .. وبمجرد عودتها انصرفت الى واجباتها المنزلية كما لو ان شيئا لم يحدث بينهما .. ورغم دهشته البالغة لم يشأ ان يضيع هذه الفرصة الذهبية متصورا انها راجعت نفسها فيما حدث وندمت على مابدر منها اثناء وجودها بمنزل ابنة عمها « فلورنس » لذلك تقبل تصرفها هذا بغاية الترحيب ، ولم يشأ ان يشير ولو بكلمة الى ما سبق ان حدث بينهما .

ومضت ايام والحياة تسير بالاسرة الصغيرة على مايرام .

ثم عاد من عمله ذات مساء ليفاجأ بزوجته تعد حقيبتها وهى فى منتهى الهدوء والثبات ، ولما سألها : اين تنوى الذهاب ؟ قالت وهى تنظر اليه فى دهشة واستنكار : كيف تسألنى هذا السؤال السخيف وانت تعلم اننى استأذنتك فى قضاء ايام مع « فلورنس » فاذنت لى بذلك مرحبا !

وحاول الزوج ان يفهمها انها قامت بهذه الزيارة ، وعادت منها قبل ايام معدودات ، ولكنها رفضت ان تصدقه ، وحين احتدم الخلاف بينهما ، وارتفع صوتاهما ، ذعرت ابنتهما الصغيرة « بونى » وانفجرت فى البكاء .. وحاولت الام ان تسكتها مرارا فلما لم تستجب ، انقلبت سحنتها ، وهجمت على الصغيرة وفى يدها رباط الستار وهو يشبه الحبل الغليظ ، ولفته حول رقبة « بونى » وراحت تجذبه بمنتهى العنف لتخنقها .. وحاول « رالف » ان ينقذ ابنته ، ولكن يدى زوجته كانتا تطبقان على رقبتها بوحشية ، فاضطر مكرها ان يلطمها على وجهها بكل ما يملك من قوة ، وبهذه الطريقة فقط امكنه ان يخلص « بونى » من موت محقق ..

واستدعيت « ايفا هوايت » لمقابلة الطبيب ، فاذا بها تنفى الواقعتين تماما ، فهى لم تقم بزيارة « فلورنس » لاتذكر شيئا مطلقا من تفاصيل المدة التى يزعم « رالف » انها قضتها هناك .. كما انها انكرت بعنف وغضب واقعة محاولتها خنق ابنتها فهل يعقل ان تفعل ذلك بالانسانة الوحيدة التى تحبها بجنون ولا تجد فى الدنيا سعادة الا بجوارها !

واخذت « ايفا » تظهر مخاوفها من ان زوجها يخترع هذه الامور لكى يتخلص منها بالطلاق ويحرمها حق حضانة ابنتها !

وحار الطبيب بين الاثنين ، لايدرى ايهما يصدق ، ولم يبق امامه لحل هذا الاشكال سوى ان يلجأ مرة اخرى الى التنويم المغناطيسى الذى سبق ان افلح به فى تمكينها من تفسير الحلم الذى ظل يعذب حياتها فترة ليست بالقصيرة .

واذنت « ايفا » باعادة التجربة للوصول الى الحقيقة .

وافلح التنويم فى استعادتها ذكريات الزيارة حتى فى ابسط تفاصيلها .. كيف كانت تخرج الى السوق كل نهار ، وتتفرج على ما فى الحوانيت من بضائع وبعد الظهر تذهب الى المسرح او السينما وفى المساء تجلس مع ابنة عمها « فلورنس » تتسليان بلعب الورق .

لكنها انكرت تماما ان خلافا حدث بينها وبين زوجها فى ختام الزيارة ، واكدت بشدة ان قصة اصرارها على الطلاق مختلقة ، فهى مسيحية متدينة تحترم عهودها الدينية ، ولقد اقسمت امام مذبح الكنيسة يوم الزواج على ان تشاركه ضراء الحياة وسراءها الى أن يفرق الموت بينهما .

كما انكرت ايضا وبغاية العنف واقعة محاولتها خنق ابنتها الحبيبة « بونى »

ولفرط ايمان « ايف » بصدق ماتقول اقترحت ان يستشهد بفلورنس ، فجاءت ابنة العم فى اليوم التالى تؤكد صحة كل ما ذكره « رالف » بشأن المعركة التى نشبت بين الزوجين ، واعلنت « ايف » فى نهايتها عزمها على الطلاق .

اما قصة خنق « بونى » فلم تستطع ان تبدى فيها رأيها لانها لم تكن موجودة معهم ببيتهم فى ذلك اليوم .

وامام تأكيد « فلورنس » بصحة دعوى « رالف » انهارت « ايف » خزيا من نفسها .

وخشى الطبيب ان تصاب مريضته بانتكاس نتيجة

لانفعالها ، فطيب خاطرها واخذ يشرح لها مسألة « فقدان الذاكرة » او غيبة الوعى التى كانت تشكو منها ، وكيف انها ذات صلة وثيقة بالمواقف العصيبة التى تكره ان تواجهها ، لذلك يعمد عقلها الباطن الى حجبها تماما عن عقلها الواعى ليجنبها بهذه الطريقة محنة العذاب الذى يصيبها بمواجهة متاعبها .

وبدأ على المريضة هدوء نسبى بعد سماعها هذا التفسير ، فرأى الطبيب ان يقف بها عند هذا الحد ، وانهى لفوره جلسته معها .

وبعد انصرافها تطوعت « فلورنس » بمزيد من المعلومات ، واعترفت للطبيب بان « ايف » كانت خلال اقامتها معها مختلفة تماما عما عهدوه فيها ، فقد تحولت فجأة الى امرأة مرحة لعوب تقضى وقتها كله خارج البيت حتى لم تستطع مضيفتها ان تستمتع بوجودها معها .. لكنها اكدت انها لم تستطع ان تعرف شيئا عن انشطة « ايف » خارج البيت ، وكل ما احست به انها كانت سعيدة للغاية ، وفى هذا الكفاية فى نظر قريبتها .

وازداد الطبيب بهذه المعلومات تأكدا بصحة نوبات « غيبة الوعى » التى تصيب مريضته نظرا لكونها ترفض وهى فى كامل وعيها اى حديث عن الطلاق وتعتبره لونا من الاثم لايرتضيه ضميرها الدينى ، بل وتفريطا فى حق « بونى » الابنة الوحيدة التى تعبدها ولاينبغى ان تسبب لها الشقاء بفراق والديها كما تنكر بمنتهى العنف والحدة تهمة محاولتها خنق هذه الصغيرة الحبيبة .

ومضت ايام على هذه الزيارة ثم تسلم الطبيب من مريضته الرسالة الاتية :

عزيزى الدكتور :

اريد ان اشكرك من صميم قلبى على الراحة النفسية التى اعطيتها لمساعدتى على تذكر زيارتى لابنة عمتى « فلورنس » ولكنى كلما اعدت التفكير فى الاحداث التى مرت هناك ، يتملكنى جزع شديد .. فمن ادرانى ان عقلى الباطن مازال يختزن امورا اخرى ؟ وكيف لى ان اطمئن الى ان هذه الحالة لن تتكرر فى المستقبل مرارا ؟ لقد افقدنى التفكير فى الاحتمالات ثقتى بنفسى ، واخشى ان تكون الاحداث . لكن لا .. دعنا من هذا ، فرأسى يكاد ينفجر بالصداع الذى لم يتركنى لحظة منذ عودتى من عندك .. لعله اختلال فى نظرى ، فانى ارى دائما نقطا حمراء وخضراء تطير امامى كالنجوم ، وجسدى كله مغطى بالطفح ، ولشدة مايأكلنى هذا الطفح لا استطيع ان اكف لحظة عن حكه باظفارى حتى تسيل الدماء من جلدى .

ووجد الطبيب بعد هذا الجانب من الرسالة نبذة اخرى كتبت بخط يختلف تماما عن الخط الاول ، وتقول النبذة : « ياحبيبتى الصغيرة ارجوك ان تهدئى .. ساعدنى يارب واحمها منى .. لا تجعلنى يارب افقد صبرى معها ، لانها مخلوقة حلوة بريئة ، وقدرتى على ضبط اعصابى قد .. »

وانتهت الرسالة عند هذا الحد ..

وجلس الطبيب يحملق فى الورقة دهشا ، لايفهم شيئا مما يراه امامه ..

لم تكن الرسالة موقعة ، ولكن طابع البريد وختم تسجيل منطقة ارساله ، كذلك الخط الذى كتبت به الجانب الاول منها يدل قطعا على انها من « ايف » غير ان النبذة الاضافية كانت ولاشك من فعل طفل صغير عابث وقعت يده على قلم فسود الرسالة بعباراته الركيكة واتماما لنزوته وضعها فى المظروف المعد من قبل ، والقى بها فى صندوق البريد دون ان يعلم احد غيره بذلك .

فالخط كان خط طفل ، والعبارات لا يمكن ان تأتى الا من صغير لايحسن مبادىء القراءة والكتابة فكيف حدث هذا ؟ اتراها « ايف » ارادت ان تلفت بهذه العبارات وتلك الطريقة نظرة الى امر ما ؟ واذا كان ذلك ، فما هو هذا الامر الذى تقصده ؟ وكيف تلجأ الى هذه الوسيلة البدائية الحمقاء امرأة مثلها متزنة بطبعها ، واضحة فى اقوالها وتصرفاتها ؟

وآثر الطبيب فى نهاية الامر ان ينتظر لعل الايام القادمة تأتيه بالحلول الشافية لهذه الالغاز ..

ثم فوجىء بعد اسبوع بزوجها يدخل عليه ، وهو يقول : اغثني .. ادركنى .. فلقد افلت زمام زوجتى ولم اعد قادرا على دفع شرها !!

■ ٢ ■

جلس « رالف هوايت » امام الطبيب يرتجف في غضب وثورة وراحت الكلمات تنقطع على لسانه وصوته يختنق بالانفعال .

وخاف الطبيب ان يصاب الرجل بنوبة قلبية تقضي عليه ، فأخذه بالحسنى ، وراح يهدىء من ثورته ويطيب من خاطره ، حتى استعاد « رالف » قدرته على التحكم في اعصابه والتعبير عما بنفسه ، وراح يحدثه عما استجد من امر زوجته ، وكيف اصبح احتمال تصرفات هذه المرأة خطرا يهدد بتدمير حياته ..

قال : لقد تطور الموقف يادكتور بما لايحتمل السكوت عليه ، فمنذ يومين تلقيت من المصرف الذى اودعه مدخراتي القليلة كمبيالة بمبلغ ضخم لايصدقه العقل .. سبعمائة دولار مطلوب منى سدادها فورا ثمنا لثياب غالية رائعة اشترتها زوجتي دون استئذاني ، وانا لا املك هذا المبلغ ، وليس في

استطاعتي ان اسدده الا على اقساط تستهلك جزءا مهما من دخلي لسنوات كثيرة قادمة ، فانا وان كنت رجلا دءوبا مخلصا في عملي ، ومرتبي يكفي مطالبنا المتواضعة .. غير أن قدرتي المالية تعجز تماما عن مثل هذا الاسراف الجنوني : فساتين للسهرة كلها حمراء اللون خليعة الشكل عارية الصدر والظهر

.. معاطف من الصوف الغالي قد تلائم الغواني ، ولكنها لاتليق مطلقا بزوجة فاضلة حتى لو كانت قدرتها المالية تسمح بالاسراف في الملبس .. حقائب واحذية من افخر واندر انواع الجلد .. جلابيب نوم كلها ايضا حمراء شفافة ومحلاة بالدانتيلا المزركشة .. زجاجات من العطور الرخيصة التي لاتستعملها سوى نساء الليل .

قال الطبيب .. وبماذا بررت شراءها هذه الاشياء الغالية الخليعة ؟

قال الرجل وصوته يرتجف كأنه على وشك البكاء : هذه قمة المأساة ، فحين سألتها عن مشترياتها اقسمت باغلظ الايمان انها تهمة لا اساس لها من الصحة ، فهي لم تشتر شيئا على الاطلاق .. وظلت تنكر وتنكر حتى جررتها من ذراعها الى غرفة نومها ، وفتحت امامها الدولاب ، فظهرت المشتريات الفاضحة امامها واضحة جلية .

قال الطبيب : وماذا فعلت حين رأت المشتريات ؟

قال بحقد شديد : ظلت الكاذبة تنكر معرفتها بما في دولابها ، بل ويمن وضعها فيه ، واتهمتني بانني افترى عليها لغرض في نفس يعقوب .

قال الطبيب : وهل من عادتها ان تميل الى شراء الملابس الثمينة ؟

صاح الزوج قائلا : بالعكس .. لقد كانت دائما منذ زواجنا تقدر العسر المالي الذي نعيش فيه ، وترفض ان تكبدني مالا طاقة لي به ، وفي سبيل ذلك تحرم نفسها من الضروزيات ،

ولاتبيح لنفسها اكثر من فستان واحد طول السنة ، وهي تقوم بحياكة ملابسها وملابس ابنتها حتى لاتكلفني ثمن الحياكة .. وفي الاسبوع الماضي فقط كانت قد انتهت من صنع الثوب الوحيد البسيط الذى اشترته طوال العام .

قال الطبيب : وكيف انتهى الموقف ؟

قال الزوج : انتهى بلا شيء .. كل ما في الامر حين فوجئت بالثياب امامها داخل دولابها ، اصفر وجهها ، وبرد جسدها ، وسقطت على الأرض مغمى عليها ، وحين افاقت وعدتنى بان تبحث عن المتاجر التى اشترت منها هذه الاشياء ، وتعيدها اليها وتسترد اثمانها ، وبذلك تنقذنى من الخراب المالي الذى اواجهه بسبب حماقتها ولكنها لم تف مع الاسف بهذا الوعد ، والملابس مازالت ببيتنا والديون تتهددنى بالسجن اذا لم ادبر امرها .. والحل الوحيد ان استدين المبلغ بسرعة .. واسدده على اقساط لمدة عشر سنوات كاملة ، فيالمصيبتى ويالخراب بيتى !!

وكان لابد من استدعاء « ايف هوايت » ليناقشها الطبيب فيما بدر منها .

وجاءت المريضة في الموعد المحدد لها ، وجلست امام الطبيب منكسة الرأس ممتقعة الوجه متخاذلة ، ثم انفجرت في البكاء بحرقة ، فتركها حتى اعادت الدموع لها بعض هدوئها ، واخذت تروى له القصة من جديد .. انها لم تشتر هذه الملابس التى تعرف تماما عجز زوجها عن الوفاء ببعض ثمنها ، وحتى لو كان « رالف » غنيا قادرا ما ارتضت لكرامتها مثل هذه الفساتين الخليعة المبتذلة .

ولقد تصورت فى البداية ان زوجها قد بيت فى نفسه مكيدة للتخلص منها وحرمانها من رعاية ابنتها الحبيبة « بونى » بعد معركتها العنيفة بسبب زيارتها لابنة عمها « فلورنس » ، لذلك افتعل قصة الثياب كى يستند اليها امام المحاكم عند طلبه الطلاق .

وعادت الدموع تنهمر من عينيها ، وبدأ التردد الشديد عليها ، ثم جمعت شجاعتها وقالت : اذا حدث ان سمع الانسان اصواتا ، فما معنى ذلك ؟ ثم اردفت قبل ان تعطى الطبيب فرصة للاجابة : انى اعرف تماما معنى ذلك .. معناه الجنون ، ومصيره مستشفى الامراض العقلية التى ستكون نتيجتها الحتمية حرمانى من رعاية صغيرتى الحبيبة « بونى » فما من محكمة فى الدنيا تسمح لى بحضانتها وانا مجنونة .

وكان الطبيب يعرف بحكم مهنته ان سماع الاصوات من اخطر عوارض الجنون ، واذا حدث لها ذلك فالقوانين كلها لايمكن ان تأتمنها على حضانة ابنتها الصغيرة الحبيبة .

ولكن كان لابد له ان يعرف المزيد عن الاصوات التى اشارت اليها قبل ان يقرر مدى خطورتها .

قالت : لامفر من ان اعترف لك يادكتور اننى كنت خلال الشهور الاخيرة اسمع اصواتا تتحدث اليّ ، وتأمرنى باشياء لااقرها ولا اقبلها .. وفى البداية كانت الأصوات تأتينى على فترات متباعدة ، ثم ازدادت فى الايام الاخيرة بدرجة مخيفة .

وسألها الطبيب عما اذا كانت الاصوات التى تتحدث اليها معروفة لها ؟

فاجابت : انه صوت امرأة ، ولكنها امرأة ولاشك سوقية ، بدليل الالفاظ والعبارات الرخيصة التي تستعملها في حديثها ، ولكني لا استطيع ان احدد صاحبته ، وان كان قطعا صوتا مألوفا سبق ان سمعته مرارا في مكان ما ..

وانزعج الطبيب لما سمعه ، ولكنه لم يفقد الامل في مريضته تماما .. فمرضى العقول الذين يعانون من علة سماع الاصوات لايستطيعون تمييز جنس الصوت ، ولايقبلون فكرة انها اوهام ولا يصدقون انهم مجانين ، على العكس من « ايف » التي استطاعت ان تحدد الهاتف بصوت امرأة ، وان تعترف بانه وهم تخشى ان يكون جنونا .

وهدأت مخاوف الطبيب ، وتأكد له ان « ايف » ليست في الحقيقة مجنونة .

وبهذه العقيدة حاول ان يزيل من نفسها جانبا كبيرا من انفعالها بالرغم من عودتها الى الاصرار على انها لم تخطيء مطلقا في حق زوجها .. فهي لم تشتر الثياب الحمراء الغالية الخليعة ، انما هي حيلة يريد بها « رالف » ان يصمها عن طريقها بالجنون لكي يحصل على الطلاق ويستأثر دونها برعاية « بوني »

لكن متاعب « ايف » لم تنته بانتهاء جلستها هذه مع الطبيب ففي الجلسات التالية بدا واضحا ان حالتها في تدهور مستمر .. فالصداع قد اشتد عن ذي قبل ، وفترات « غيبة الوعي » كثرت وطال امدها ، حتى لم يعد في مقدور المريضة ان تحدد بدايتها ونهايتها ، او تعي ما فعلته خلالها .

وتملك المريضة الى جانب ذلك شعور بخطر يقترب منها

حتى ليوشك ان يدهمها . واشتد بها الرعب الذى يشبه رعب المذنب من قرب وضع رأسه تحت المقصلة .. لكن العجيب فى امر هذه السيدة الممتازة انها رغم ازماتها النفسية الرهيبة ظلت على عهدها مهذبة مؤدبة راقية .. صوتها دائما خفيض ، نظراتها مليئة بالخجل والحياء .. تجلس امام الطبيب دائما مثلما جلست فى اول مرة .. يداها معقودتان على حجرها ، ورأسها مطأطأ مثل تلميذة صغيرة مهذبة ، كل ماتغير فى تدهور حالتها ان اصابعها التى كانت دائما تتحرك بتوتر وعصبية سادها الهدوء تماما كما لو كانت الحياة قد هربت منها .

وكان لونا من الهدوء لايبعث على الطمأنينة .

وخشى الطبيب ان يتحول الحديث الى مواضيع جانبية تبعده عن الاصوات التى تثير غاية اهتمامه ، فعاد يسألها عن قصة الملابس التى اشترتها ، فراحت تكمل له الحديث ، قالت : انها ارادت ان تقطع الشك باليقين فى سوء نوايا زوجها بها ، فنزلت الى السوق تبحث عن المتاجر التى اشترت الاشياء منها .. وبعد جهد عثرت عليها ، فاذا بالعاملات جميعا يتعرفن عليها ، ويؤكدن انها هى بنفسها وبذاتها التى اختارت الثياب بمحض ارادتها واختيارها ، وطلبت تحويل فواتيرها الى زوجها .. ولما رجتهن ان يستعدن البضاعة رفضن رفضا قاطعا .. ولعلهن اردن بذلك ان يعاقبنها على التورط فى شراء اشياء دون علم زوجها ، والآن رغم يقينها انها لم تفعل ذلك ، تجد انها امام مأزق بشع لاتدرى كيف تخرج منه لتنقذ نفسها من تهمة الجنون التى قد تكلفها الحرمان من ابنتها .. ثم اذا كانت هى بالفعل التى فعلت ذلك دون ان تدرى ، فاى خراب

تنزله بزوجها المسكين الذى لاتحتمل ميزانيته الهزيلة جانبا ولو ضئيلا من الدين الضخم الذى سيتقيد باغلاله لسنين قادمة .

وعندما وصلت بقصتها الى هذا الحد ، عادت الى الحديث عن الاصوات التى تسمعها ، وبدا عليها كأنها تريد ان تفضى للطبيب بمزيد من المعلومات عن الصوت النسائى الذى يطاردها .

ولما خيل اليه انها على وشك الكلام عادت واحجمت ..

انعقد لسانها عن التصريح لسبب ما .. لعله الخوف او العجز عن اختيار العبارات المناسبة للتعبير .

ولم يشأ ان يتعجلها حتى لايزيدها حيرة على حيرة .

وخيم السكون فجأة على مكتب الطبيب ، ولم يعد يسمع فيه حتى تردد انفاس الجالسين فيه .

وجمدت نظرات « ايف » كانها تحجرت فى مقلتيها .

واهتزت المريضة برهة مثلما يحدث للانسان اذا اصابه دوار خفيف ، واسبلت جفنيها حتى ظن الطبيب انها استسلمت للنوم ، ثم اخذ كل شىء يتغير فيها بشكل مذهل ، اعتدل جسدها فى المقعد بالتدريج واعتدل ظهرها تماما فبدت اطول قامة .

ورفعت رأسها عن نكسته المعهودة التى كانت تكسبها دائما مظهرا من الذلة والهزيمة ، ثم تبدلت تعبيرات وجهها تبدلا كأنه من فعل السحر ، فاذا بالوجه يكتسى بتعبير جديد

لا تكاد تكون له ادنى صلة بالاول ، وحتى خطوط تقاطيعها تحولت بدورها تحولا اكسبها شكلا اخر .

وأسبلت جفنيها ثم رفعت يدها الى جبينها تضغط بها عليه كأنها تريد ان تخفف وطأة الصداع .

وسرت رجفة فى جسدها كله ، وانزلت يدها عن جبينها ، وفتحت عينيها الزرقاوين وغمزت باحداهما للطبيب بشكل خليع اثار غاية دهشته .

ونظر الطبيب الى المرأة التى تجلس امامه فلم يصدق عينيه ، اذ كانت تملك كل اوصاف « ايف هوايت » لكنها بقدرة قادر تحولت الى مخلوقة ساحرة تفيض بسحر الانوثة ورغبات الجنس .

وبهزة من رأسها انحلت عقدة شعرها فسقطت خصلاته الغزيرة الحالكة على كتفيها كانها امواج من الحرير الاسود .. والتمعت عيناها واتسعتا وفاضت منهما نظرات المرح والاغراء .

واعتدل جسمها فى جلستها على المقعد ، وبرز باعتدالها نهداها ، ووضعت ساقا على ساق وهى تهزهما بحركة كلها استهتار .

واخذت تحك ركبتها باظفارها ، ثم قالت بصوت اجش خفيض عميق لا يمت الى صوتها الطبيعى الهادىء بصلة :

اهلا بك ايها العزيز !!

واطلقت ضحكة قصيرة فيها كثير من الاغراء .

وبكل بطء اخذت تشد طرف ثوبها لتكشف عن جزء مناسب من ساقيها اللتين لم يسبق ان لفتتا نظر الطبيب بجمالهما رغم تعدد المرات التى رآها فيها .. وبغاية الخلاعة اخذت تتململ فى مقعدها لتريح نفسها بين الوسائد الموضوعة حولها .

وهكذا ذابت « ايف هوايت » الباهتة الخجول ذات الشكل الذى يبعث على الملل فى هذه المرأة الرائعة التى تفوق فى اغرائها اى غانية .

وماتت الكلمات على شفتى الطبيب بفعل الذهول الذى اصابه للمفاجأة العنيفة .

وظل يحملق فيها وهو لايكاد يصدق عينيه .

قالت بسخرية وعيناها الزرقاوان تلمعان بالشقاوة : ماذا دهاك ايها العزيز ؟ وماذا تريد ان تقول ؟

قال : اردت فقط ان اسألك عن حالك ؟!

قالت : اننى فى اروع حال ، ولكن كيف حالك انت ؟

ورمشت بجفنيها فى بطء مثير ، وعادت تهز رأسها ليتطاير شعرها الاسود الغزير من حولها ، ثم يعود ويهبط على كتفيها كامواج من الحرير الاسود .

وبدت بحركاتها هذه رغم خلاعتها الواضحة مثل طفل صغير يتلذذ بمعاكسة الجالس معه .

وظل الطبيب على صمته وذهوله وقد عاد الى ذهنه ماكان يعرفه فى الصغر عن الشيطان عندما يتقمص جسد انسان .

وقطعت عليه افكاره عندما مدت اليه ذراعها بغاية الاغراء وقالت بذلك الصوت الخفيض الاجش : اتسمح لى ايها العزيز بسيجارة ادخنها ؟

وقدم لها السيجارة واشعلها ، فاخذت تدخنها ثم تنفخ دخانها فى الهواء ليتجمع فى حلقات فوق رأسها بطريقة تدل على طول باعها فى التدخين .. مع انها لم تكن تدخن على الاطلاق وهو على ثقة بانها لم تضع مرة من المرات سيجارة فى فمها .

قالت دون تمهيد : انها تمر بأزمة عصبية وليس فى ذلك من شك وانا اشعر احيانا بالاسف عليها ، ولكنها فى الحقيقة غبية بلهاء ، فما الذى يضطرها الى البقاء مع هذا الحمار ؟ ولماذا ينفطر قلبها على ذلك الحيوان الصغير ، فليذهب الاثنان الى الجحيم وهذا رأيى بكل صراحة !

قال الطبيب : عمن تتحدثين ؟ ومن هى الغبية البلهاء ؟

قالت : ايف هوايت بالطبع .. مريضتك التى يلذ لها ان تلعب دور القديسة الصابرة على عذابها الطويل

قال : ولكن الست ايف هوايت ؟

قالت : وهى تطلق ضحكة عالية : اتنكت ايها العزيز ؟ كيف تسألنى هذا السؤال السخيف ؟ الا ترى بعينيك ؟ ثم كيف تكون طبيبا ماهرا كما يزعمون وانت لاتستطيع التمييز بين شخص واخر ؟ فما بالك اذا كان احد الاثنين مريضك الذى تعرفه منذ زمن طويل ؟

قال لها : من تكونين اذن ؟

قالت : انا ايف بلاك ، وارجو الا تعود الى الخلط بيني وبين هذه الغبية البلهاء !

.

■ ٣ ■

وازدادت دهشة الطبيب واصبح فى حيرة بالغة مما يحدث امامه ، وعاد يسأل مريضته مرة اخرى : تقولين من انت ؟

قالت وقد بدا عليها الضيق لبطء فهمه : ألم تسألنى من اكون ؟

قال : اجل ..

قالت : ألم اجبك باننى « ايف بلاك » فماذا تريد ان تعرف اكثر من ذلك ؟

وكان الطبيب يعرف ان « بلاك » اسم والد « ايف » ولقد عرفت الى حين زواجها باسم « ايف بلاك »

قال : تقصدين انك « ايف هوايت » قبل زواجها ؟!

قالت فى غضب شديد : لم اكن اعرف انك بهذا الغباء ليستعصى عليك فهم ما اقول .. انا لست « ايف هوايت » لا قبل الزواج ولا بعده .. انا « ايف بلاك » فقط .. انا انا ، وهى هى ، ولكل منا آراؤه ومزاجه .. انها متزوجة ، ولم اتزوج من قبل ، وليس فى نيتى ان اتزوج مستقبلا ، والتمتع بالحياة هو هدفى وغايتى ، وعلى فكرة انا افهمك اكثرمنها الف مرة ،

واعتقد انك معجب بى .. وانا بصراحة معجبة بك ايضا ، واراهن انك راقص ماهر ، وبامكاننا معا ان نقضى ليالى سعيدة .

وابتسمت ابتسامة خبيثة تمتزج بالسخرية .

واعتذر لها الطبيب عن خطئها فى تقدير مهارته ، فهو لايرقص بل ولم يتعلم الرقص فى حياته ، وليست لديه الاهلية ليكون رفيقا ممتعا فى السهرات الليلية .

وانتهز الفرصة ليعرف منها مايبدد له الغموض حول قصة الملابس الفاخرة التى تنكر « ايف هوايت » انها اشترتها ويؤكد « رالف » انها اغرقته بالديون بسببها .

قال لها : ألديك ما يوضح قصة الثياب الحمراء والملابس الفاخرة التى اثارت غضب زوجك عليك ؟

قالت وقد انقلبت سحنتها وتطاير شرر الحنق من عينيها : لقد افهمتك مرارا وتكرارا اننى غير متزوجة ، ويجب ان تكون على تفاهم تام فى هذا الموضوع والا لاداعى مطلقا للاستمرار فى الكلام .

قال : وانا اصدقك ولكنى اريد ان اعرف حقيقة قصة الثياب .

قالت وهى تطلق ضحكة خبيثة : وهل كان من المعقول لمثل هذه الغبية البلهاء ان تشترى مثل هذه الاشياء الرائعة ؟! انا التى اشتريتها يوم استطعت « الخروج » فى ذلك اليوم .. ولشدة تعلقى بمتع الحياة شعرت باحتياجى الشديد الى

الملابس التى تبرز جمالى وتناسب ظروفى .. فذهبت الى المتاجر واشتريت اروع ما وجدته فيها ، وقيدتها لحساب زوجها بقصد اغاظته .

ثم عادت واطلقت ضحكة عالية واردفت تقول : اه لو كنت رأيتها هذه البلهاء حين فتح زوجها الدولاب امامها فرأت الثياب الحمراء الرائعة التى لم تشترها .. والله لو رأيت النظرة التى اكتسى بها وجهها ما امكنك ان تمنع نفسك من الضحك باعلى صوتك .. لقد ازدادت بالمفاجأة بلها على بله ، وغباء على غباء ، وكادت تسقط على الأرض مغمى عليها .

قال : ولماذا اخترت الاحمر لونا لكل شيء ؟

فنظرت اليه نظرة خبيثة وقالت : لانه اللون المختار .. اجمل الالوان كلها واكثرها اثارة واغراء .

كان الفارق واضحا بين هذه المرأة التى تجلس امامه وبين « ايف هوايت » المريضة التى يعرفها حق المعرفة ، فبدل الرقة والنعومة والدماثة والتواضع والحياء التى تطغى على زوجة « رالف » المرأة ذات القدرة الفائقة على ضبط النفس والتزام سبيل الادب والكياسة فى كل حركة من حركاتها وكل كلمة من كلماتها .. ذهبت هذه الصفات الرائعة وحل محلها النقيض تماما .. « فايف » الماثلة امامه فى تلك اللحظة كانت غانية سوقية اللفظ والحركات مشاغبة تمتلىء نظراتها الجريئة بالرغبة فى المعاكسة والاثارة والاحراج .. تلجأ فى سعيها الى ابراز محاسنها الى كثرة الحركة والحيويه الجارفة التى تكاد تنطق بنهم مسعور الى المتعة والتسلية .. وكان واضحا ان هذه المرأة الطليقة تتكلم باحتقار وعدم مبالاة عن « ايف

هوايت » ومتاعبها مما يدل دلالة قاطعة على استهانتها البالغة بها .

ولقد عرف الطبيب « ايف هوايت » كما عرفها كل من اتصل بها من اهلها واصدقائها .. انها كتوم صامته ولابد من الالحاح عليها مرارا وتكرارا لانتزاع ابسط الكلمات منها .. على عكس « ايف بلاك » التى لايعرف لسانها ضابطا ولا رابطا .. يتدفق فمها بالحديث وتتبرع برواية تفاصيل اضعاف المطلوب منها ، ولايضيرها مطلقا ان تستعين فى ثرثرتها بالفاظ السوقة وعباراتهم ، بل انها تفضل هذا الاسلوب على اى اسلوب سواه .

وتطوعت هذه الشخصية الجديدة بالافاضة فى الكلام عن الملابس التى اشترتها ، قالت ولقد حاولت هذه الغبية البلهاء ان تعيد المشتريات الى المتاجر لكنهم رفضوا ان يقبلوها منها .. تصوروا انها هى التى اشترتها فقرروا على سبيل التأديب ان يحملوها مسئوليتها عقابا لها على تجاهلها الحصول على اذن زوجها .

ثم اردفت تقول وهى فى غاية الرضا : ولكم اسعدنى انهم فعلوا بها ذلك لاننى فى اشد الاحتياج الى ملابس لائقة ارتديها عندما اخرج ، فملابسها دائما حقيرة رخيصة ، واى امرأة تحترم نفسها تأنف من ان تضعها على بدنها

وسكتت لحظة ثم اشارت الى الثوب الباهت الذى ترتديه وقالت : لايمكنك ان تتصور كم يحرجنى ويضايقنى ان اظهر امام الناس فى مثل فستانها هذا الذى يجعلنى ابدو وكأننى احدى بنات ملجأ الايتام التابع للكنيسة .. انظر الى حقارة ما

ارتديه اليوم ، اليس مخجلا لامرأه فى جمالى وشبابى ان اظهر بهذا الجلباب الذى قد تحتقره جدتى ؟

والتزمت الصمت ثانية ثم عادت تقول وقد اكتسى وجهها بنوع من الكآبة : انها تعانى الامرين فى الفترة الاخيرة ولاشك انها فى غاية التعاسة وانا لا انكر اننى اشعر احيانا ببعض الاسف لحالها ، لكن صدقنى انها حمارة مغفلة تستحق كل مايصيبها ، مادامت مصرة على احتمال هذا الحيوان « رالف » انه مخلوق لايحتمل .

قال الطبيب : وماذا لديك ايضا عن « ايف هوايت » حدثينى بكل ما تعرفينه عنها .

قالت بعدم مبالاة وقد عادت تهز رأسها لتثير اهتمام الرجل بشعرها الاسود الرائع : الواقع اننى لم اكن فى الفترة الاخيرة اوليها اهتماما مذكورا ومع ذلك باستطاعتى ان احدثك بالكثير عنها ، فانا اعرف عنها اشياء كثيرة ولكنها لاتعرف عنى شيئا على الاطلاق .. بل اعرف عنها مالا تعرفه هى عن نفسها ، اعرف مثلا انها فى قرارة نفسها اصبحت تمقت زوجها ولكنها ترفض ان تعترف بذلك تمسكا من هذه الغبية بسلوك سبيل الصواب دائما حتى لو قتلها هذا الصواب ودمرها تماما

قال لها : لعلها تقوم بهذه التضحية اكراما لابنتها « بونى »

قالت فى صبر نافذ واحتقار شديد : اف .. بونى الصغيرة بونى الصغيرة ما هذه الطفلة سوى جرو ملعون ، ومع ذلك ..غبية توشك ان تقود نفسها الى الجنون بالتفكير فيها ليل نهار .. فهل هذا معقول ؟ لست انكر انها طفلة لطيفة ، ولكن

كيف ترضى شابة فى مقتبل الحياة ان تفنى نفسها من اجل بنت لم تبلغ الرابعة من عمرها بعد ؟

قال لها : اذن فانت التى حاولت خنقها واياك ان تنكرى هذه الحقيقة ، قالت باستهزاء : ولماذا انكر وممن اخاف ؟ طبعا انا التى حاولت خنقها ولم اكن اقصد فى الواقع قتلها ، بل أردت فقط ان اؤدبها لتكف عن عوائها ، الذى كاد يفقدنى عقلى ، وحتى لو كانت ماتت ماهمنى !

قال لها مفاجئا : الا تحبين ابنتك

قالت وقد ارتسمت الدهشة الصادقة على وجهها : كيف لى ان احب ابنتى وليس لى ابنة ؟ بل ولست متزوجة وليس فى نيتى ان اتزوج ، وحتى اذا تزوجت فى يوم من الايام فلن انجب اطفالا .. النساء يختلفن فى تقديرهن للامومة . وانا شخصيا افضل ان استمتع بالحياة واعب من مباهجها ، والاطفال يحولون دون هذه الحرية ، ولست اراهم يستحقون هذه التضحية البالغة .. واذا كانت ايف هوايت تصر على التضحية من اجل « بونى » فهى حرة فى نفسها اما انا فلا شان لى بها ولا بابنتها الملعونة

سألها الطبيب : اتعتقدين ان « ايف هوايت » تحمل لابنتها حبا صادقا ؟

قالت بعد تردد وتململ فى مقعدها اجل ايها العزيز ، اعتقد ذلك ، وهذه سخافة اخرى لايقبلها عقل .

وبالحاح الطبيب اضطرت هذه الشخصية الجديدة ان تعترف مكرهة بانها تشترك مع « ايف هوايت » فى جسدها

ومع انها تعرف ان شريكتها قد أنجبت منذ اربع سنوات هذه الطفلة الصغيرة التي يسمونها « بونى » غير انها ظلت على اصرارها بانها لم تلد ولم تتزوج .

قال الطبيب : اذن اين كنت عندما ولدت « ايف هوايت » ابنتها ؟

فالتزمت الصمت برهة ، ثم نفضت الرماد عن سيجارتها بهدوء ، وفجأة اتقد وجهها بالخبث : مثل هذه الاسئلة لايصح لك ان توجهها الى ، فانت المسئول عن اجابتها .. وانا من جانبى اعترف ان هناك اشياء كثيرة مازلت اجهلها ، لكن الامر الوحيد الذى اعرفه عن ثقة هو .. انى لست هى .. وهى ليست انا .. ولايهمنى ماعدا ذلك ، وليس فى نيتى ان اتعب رأسى بالتفكير فيه .. اننى اتفجر رغبة وانوثة ، ولا يهمنى ذلك ، ومن حسن حظى اننى اصبحت فى العهد الاخير استطيع الخروج اكثر من اى وقت مضى ، فدعنى لحياتى ، واذهب باسئلتك اليها ، واترك لها ان تقلق مزاجها بالبحث عن اجاباتها .

قال : وهل يقلقها وجودك معها ؟

قالت : هذا هو الشىء الوحيد الذى لاتعرفه « ايف هوايت » انها لاتعلم بوجودى ، وليس لديها اية فكرة عن ذلك ، ومن ثم كيف تقلق لشىء تجهله ؟

وفجأة انفجرت تقول وشرر التحدى يتطاير من عينيها : واياك ان تذهب وتحدثها عنى ، فانا مرتاحة جدا لجهلها بوجودى ، فهى لاتعرف شيئا عندما اخرج ، وبذلك احظى بكامل حريتى فى ان اذهب حيث اريد وافعل كل ما يحلو لى ، وبحق الشيطان ليس هذا من شأنها

ولم يستطع الطبيب ان يعرف من هذه الشخصية الاخرى لمريضته اين تكون « ايف هوايت » وماذا يحل بها عندما « تخرج » هذه الشيطانة اللعوب وتمارس حياتها الماجنة ، فقد بدا من حديثه معها انها لاتدرى شيئا عما يسأل عنه الطبيب رغم ادعائها بانها تعرف كل صغيرة وكبيرة مما تفعله توأمها ، وذلك بسبب عدم قدرة « ايف بلاك » على التركيز فى « ايف هوايت » نظرا لكونها تستثقل ظل هذه السيدة المهذبة وتحتقر غباءها ، وتعتبرها مخلوقة اتفه من ان تستحق التركيز عليها .

وفى الوقت ذاته ثبت للطبيب ان « ايف هوايت » لاتعرف مطلقا بوجود شخصيتها الاخرى ، ولا ينتابها ادنى شك فى احتمال وجودها .

واراد الطبيب ان يعرف اسباب نوبات الصداع التى اخذت فى العهد الاخير تطارد مريضته ولم يجد الاطباء الباطنيون مبررا مرضيا لها ، وهل لها صلة بعملية خروج « ايف بلاك ».. وكل ما استطاع ان يعرفه من « ايف هوايت » عند بداية مجيئها له ان الصداع اخذ يشتد وتتقارب فتراته بعد اجهاضها .. فقد كانت حاملا للمرة الثانية ، وذات يوم احست بارتباك عصبى شديد ، وانتابتها مخاوف لاتعرف كنهها ، فطلبت من زوجها « رالف » ان يتخلف عن عمله ويبقى بجوارها فى ذاك اليوم ، ولم تستطع ان تعطيه مبررا واضحا معقولا .. ولما رفض ان يجيب طلبها ، تعلقت بكم سترته وابت ان تتركه يذهب وعندئذ انفجر غاضبا ، ودفعها بعنف بعيدا عنه ، فافلت ذراعه واصطدم بوجهها دون قصد ، ثم خرج مسرعا الى حال سبيله .

وتصورت الزوجة المسكينة انه ضربها عن قصد ، فانهارت

لهذه الاهانة وظلت تبكى وتبكى بقية الصباح ، ولم تمض ساعات على ذلك حتى بدأت اعراض الاجهاض تظهر عليها .. واشتدت الام المخاض وتدفقت دماء النزيف وهى وحدها بالبيت لا رفيق لها سوى « بوبى » الصغيرة التى كانت بالكاد تبلغ من العمر اربعة اعوام .. ولم يكن فى قدرة « ايف هوايت » ان تتحرك وتصل الى التليفون تطلب الاغاثة ، وخشيت اذا هى استسلمت للالم ان تزعج ابنتها الصغيرة المسكينة التى كانت طول هذا الوقت تجلس فى الفراش بجانبها وهى تبكى بحرقة .. ولما رأت « بونى » دماء النزيف تغرق الفراش ، اشتد بها الجزع ، وراحت تصرخ باعلى صوتها وتقول : ماما .. ماما لماذا تتعاركان انت وابى بهذا الشكل ؟ هل ستموتين يا ماما ؟ لا تموتى بالله عليك وتتركينى وحدى .

وظلت « ايف هوايت » على هذه الحال معلقة بين الموت والحياة الى ان حضر « رالف » فى اخر النهار وانقذت بعد الاجهاض باعجوبة ، لكن هذا الحادث ترك فى نفسها اثرا عميقا وسع هوة الخلاف بين الزوجين وملأ قلب المرأة الطيبة بنوع من المرارة دفعها الى جمع حوائجها بمجرد تماثلها للشفاء ، وسفرها مع ابنتها « بونى » لقضاء بعض الوقت مع والديها .

وبعد هذه الحادثة مباشرة اخذت نوبات الصداع تتقارب وتشتد ومعها حالات « غيبة الوعى » التى كانت « ايف بلاك » او الشخصية الاخرى لمريضته تستطيع ان تخرج لفترات اطول كثيرا من اى وقت مضى .

قالت « ايف » الجديدة للطبيب نصف ما كان يحدث من

صراع بينها وبين توأمها : كان الصداع ينتابها نتيجة محاولتها المستميتة لمنعى من الخروج .. لم تكن فى الحقيقة تعرف ما يحدث لكن شعورا مبهما يوحى اليها بان حدثا خطيرا على وشك الوقوع ، فتظل تقاوم وتقاوم وكلما زادت مقاومتها يشتد بها الصداع ، واوشك ان يودى بعقلها !

وعندما تهزم « ايف هوايت » فى معركة صداعها وتنتصر « ايف بلاك » فى « الخروج » اى الظهور امام الناس ، تصاب الاولى بنوبات فقدان الوعى ، فلا تعرف اى شىء مما حدث على الاطلاق .

وكثيرا ما كانت الزوجة الطيبة الضعيفة تستيقظ على تبعات تصرفات توأمها الماجنة الحمقاء ونتائجها .. من ذلك مثلا ان « ايف هوايت » لم تكن على الاطلاق تدخن او تشرب الخمر ، او تسهر الليالى او ترقص او تسمح لنفسها بالخروج من البيت بعد الغروب .. لكن عندما تخرج الشخصية الاخرى يحدث العكس تماما « فايف بلاك » لا يهدأ لها بال الا بالخروج طول الليل الى الشوارع ولا تتورع عن مغازلة الرجال الذين تقابلهم فى هذه الاماكن المشبوهة ، وليس احب اليها من ان تصطحبهم الى الخمارات والمنتديات الليلية ، وتظل معهم تدخن بشراهة وترقص بجنون وتشرب الخمر بلا ضابط ولا رابط ، ثم تعود عند مطلع الفجر ، وهى تكاد تسقط لفرط ما يصيبها من ارهاق ودوار خلال لياليها الحمراء ، وعندما تستيقظ فى الصباح تكون « ايف هوايت » الطيبة قد استعادت سيطرتها على نفسها ، فتجد نفسها مخمورة مجهدة مبتذلة ، دون ان تفهم لذلك سببا ، فيكاد عقلها يطير خوفا ورعبا .

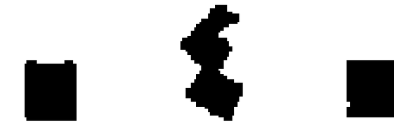
وفجأة اخذت « ايف بلاك » تترنم باغنية مبتذلة كانت قد انتشرت اخيرا فى احياء اللهو ، وانسجمت بالنغم فراحت تهز صدرها ، وردفيها كأنها ترقص ، ثم قالت والخبث يشع من نظراتها منذ اسبوع تمكنت من الخروج ، وقضيت الليل بطوله استمتع بالحياة ، ملأت بطنى بالخمر حتى لم اعد اشعر بما يدور حولى .. اه لو تعرف بما جرى لهذه الحمارة الغبية عندما استيقظت فى الصباح فوجدت نفسها مخمورة .. الدنيا تدور من حولها ورأسها يكاد ينفجر بصداع الخمر .. لم تكن تدرى بما يجرى لها اثناء فترة غيبة الوعى التى مرت بها فكادت تجن لفرط خوفها مما يحتمل ان يكون قد وقع لها وهى فى غيبوبتها

قال لها : وانت الم تشعرى بصداع الخمر او دواره مثلها ؟!

قالت فى دهشة لجهله : انا ؟ طبعا لا .. كيف اشعر به بعد ان « عدت » وبقيت هى فى الخارج تتحمل تبعه اعمالى ! اننى اذكى من ان احاول الخروج مرة اخرى وهى فى مثل هذه الحالة المزرية .. فى مثل هذه المواقف افضل ان ابقى فى الداخل سعيدة ، واتركها فى الخارج تتعذب وحدها !

قال لها : وماذا يفعل « رالف » حين يواجه الموقف ؟!

قالت فى سخرية شديدة : وهل تظننى مجنونة لادعه يعرف ؟ اننى احرص دائما على عدم الخروج فى وجوده .. ان عمله يقتضى منه السفر كثيرا وعندئذ امارس حرياتى واذا فوجئت بعودته احرص على تقليد زوجته حتى يطمئن قلبه ويبتعد عنى .. اننى ممثلة بارعة وباستطاعتى ان اقلد بعض اشياء ، فما بالك بهذه البلهاء الغبية .



جلس الطبيب مشدوها امام هذه المرأة التى تتفجر بالحيوية وتسمى نفسها « أيف بلاك » .

وأخذها الغرور بنفسها فراحت تسرد له قصص الكثير من الأحداث التى تعمدت أن تعكر بها صفو حياة توأمها الطيبة ، ومن ذلك حادث زيارتها لابنة العم « فلورنس » ، فلقد ذهبت اليها بدون « رالف » ، وبذلك أمكنها أن تبقى فى « الخارج » معظم الوقت .. تعُب من المتع الهوجاء عبا .. ولما تأخرت عن موعد رجوعها الى البيت ، واشتد القلق برالف الذى كانت الشيطانة « ايف بلاك » تكرهه بالغ الكراهية وتتمنى تحطيمه ، اتصل بها مستفسرا عما دهاها ، فأنفجرت فيه كالبركان وراحت تسبه وتصرخ فى وجهه بأقبح ، الألفاظ ، ولم تتورع عن مصارحته بنفورها منه واحتقارها لشخصيته وعقليته .. ولقد تلقى المسكين لطمة عنيفة حطمت كبرياءه ، اذ لم يكن يخطر له على بال ان زوجته تُكنُّ له هذه الكراهية البشعة ، وهكذا احتدمت بينهما المعركة التى انتهت بأن اعلنت قرارها بالطلاق منه ، وأوضحت له انه قرار نهائى لن تثنيها عنه قوة فى الوجود ..

ولقد اعترفت « ايف بلاك » للطبيب بانها فعلت ذلك تحت تأثير اعتقادها بأنها قضت على « ايف هوايت » نهائيا وتغلبت

عليها ، وأصبح في مقدورها ان تظل دائما فى الخارج تتمتع بحياتها كما تمتعت بها اثناء زيارتها لابنة عمها « فلورنس » .. لكنها كانت مخطئة فى هذا الاعتقاد ، اذ لم تلبث « ايف هوايت » الطيبة الشريفة المخلصة ان انتصرت ، واجبرت توأمها الشريرة على التوارى والاختفاء ، ومن هنا كانت المفارقة الشديدة بعودتها الى البيت باسمة راضية هانئة كأن شيئا لم يحدث على الاطلاق بينها وبين زوجها ، الامر الذى فسره ، رالف بندمها على مابدر منها ، والحقيقة انها كانت تجهل تماما كل ماحدث .

هنا برزت امام الطبيب مشكلة لا يعرف نتائجها : فماذا يحدث ياترى لو عرفت « ايف هوايت » بشخصيتها الاخرى !! لاشك انها ستبذل المستحيل فى سبيل التغلب على غريمتها وستعمل على حبسها داخل نفسها ، فهل ترضى الشيطانة بذلك ؟؟

قال الطبيب : ماذا تفعلين لو عرفت « ايف هوايت » بأمرك وحاولت القضاء عليك ؟

قالت بغاية العنف : اقاتلها دفاعا عن وجودى !

قال : كيف تقاتلينها وبأى وسيلة ؟

قالت : لست ادرى ، ولكنى واثقة تماما بقدرتى على قتالها ، فأنا أزداد كل يوم قوة ، وهى تزداد كل يوم ضعفا ، وفى هذه الحقيقة مايضمن لى النصر النهائى .

قال : وماذا تجنين من تحطيمها .

قالت فى ثقة وتأكيد : سيصبح جسدى هذا لى وحدى ، ولن تشاركنى فيه بلهاء مثلها .

قال : اذا كنت انت التى ذهبت الى « فلورنس » حقيقة ، فكيف لم ينتب ابنة العم الشك فى امرك ؟

قالت : لانها لم تكن تعرف من الاصل بوجودى .. ولقد حرصت امامها على تقليد « ايف هوايت » وهو ما افعله دائما مع كل من يعرفونها على قرب حتى لا أسبب لنفسى المتاعب .

قال الطبيب : والأصوات التى تسمعها « ايف هوايت » ؟

قالت : انه صوتى انا فقط .. فلقد قررت اخيرا ان اتحدث اليها مباشرة لعلى استطيع ان اقنعها برغباتى ..

ولكن ماذا كنت تنتظر من تافهة مثلها ؟

انها لا تستحق الاحترام لانقيادها لرغبات زوجها المستبد وخضوعها لتحكمه فيها .. هذا الحيوان لايهتم بذرة من مشاعرها ورغباتها واحاسيسها .. مخلوق انانى لايعنيه سوى اشباع رغباته منها .

ثم ضحكت فجأة بأعلى صوتها وقالت : منذ ايام انهال عليها هذا الحمار بالتأنيب والنقد والتجريح حتى افلح حقيقة فى ان يتعسها ويشقيها .

عندئذ جن جنونى ، ولم استطع أن اتركها لهذا الظلم الفادح ، فصرخت فى اذنها اهيب بها أن تضربه على أم رأسه ، وتقتل هذه الحشرة الحقيرة .

قال الطبيب وقد أخذ يساوره القلق الشديد لاحتمالات المستقبل : وهل سمعك « رالف » ؟

قالت باحتقار : ما هذا الهذيان يادكتور ؟ طبعا لا ، فهى التى تسمعنى دائما ، هى فقط ولا احد غيرها .

قال : وماذا فعلت « ايف » ؟

قالت : ضاحكة : ماكان ينتظر أن تفعله .

غبية مثلها ، مدت يدها الى شاطور المطبخ وامسكت به ثم تلبث ان تركته وقد تملكها الرعب لدرجة انها ــ ولا مؤاخذة ــ بللت سروالها !! .

وشعر الطبيب برجفة تسرى فى جسده وهو يتصور الجريمة التى تتهدد مصير « ايف هوايت » اذا تغلبت توأمها الشريرة يوما واقنعتها بقتل احد من احبابها .

ومع ذلك لم يجرؤ فى هذه المرحلة على مجاهرة مريضته الطبية بشخصيتها الاخرى التى مازالت لاتعرف شيئا عن وجودها ، لانها اذا عرفت فسوف تحاول القضاء عليها بالحيلولة دون خروجها ، ولكن « ايف بلاك » صارحته بأنه اذا حدث ذلك فسوف تخوض معها معركة .

حياة أو موت ، والأحتمال قوى فى انتصارها .

ولكن يجب أن يفعل لمريضته شيئا لانقاذها من الدمار ، ولم يبق امامه سوى ان يطلع زوجها « رالف » على حقيقة المرض الذى تعانيه زوجته وهو ازدواج الشخصية ، انما المشكلة فى الاسلوب .. فكيف يخبره بذلك ؟

لم تكن لا الدوائر الطبية ولا الأجتماعية تعرف بمرض ازدواج الشخصية الا من خلال القليل الذى ورد فى المراجع الطبية التى لايقرؤها سوى خاصة المتخصصين ، ولم يسبق أن ظهرت حالة واحدة تؤكد النظرية عمليا على الطبيعة .

وبناء عليه فلن يصدق « رالف » كلام الطبيب ، وأغلب الظن انه سيعتبره مخبولا أو مشعوذا ، فيمنع ، « ايف » من الاستمرار فى العلاج عنده ، وبذلك يقضى عليها نهائيا ، ويحرم الدوائر العلمية من ان تستفيد بدراسة هذه الحالة الأولى من نوعها فى الولايات المتحدة ، بل فى اوروبا كلها ايضا .

ومع ذلك صمم الطبيب على المخاطرة .

غير ان المحاولة كانت تتوقف على قبول « ايف بلاك » مقابلة « ايف هوايت » والتحدث اليه ، فلا يمكن له ان يصدق

الا اذا رآها بعينيه وتبين بنفسه الفوارق الرهيبة بينها وبين زوجته .

فهل تقبل « ايف هوايت » وهي التي تكرهه بكل ما تملك من قوة على الكراهية ؟ !

قال الطبيب يستدرجها : وبماذا تنصحين الآن ؟

قالت ضاحكة : امرك حقيقة عجيب ايها العزيز .. اتسألنى عما ينبغى أن تفعله ؟ ! من منا الطبيب ، أنا أم أنت ؟! .

هذه ليست مهمتى ولكنى على استعداد لمعونتك فيما تريد لانني بصراحة اصبحت اعجب بك ، وقلبى يميل اليك ، وبودى لو ترضى بتوثيق العلاقة بيننا .

قال : اذا كنت حقيقة جادة فى استعدادك لمعاونتى ، فهل ترضين بمقابلة « رالف هوايت » والتحدث معه ؟

قالت فى اشمئزاز واضح : أقابل هذا الحيوان ؟؟ ماشأنى انا به لألقاه واتحدث اليه .. اننى أمقت مجرد النظر فى وجهه ؟

قال : ولكنى اطلب ذلك خدمة لك ، فأنت بالمقابلة تنقذين « ايف هوايت » من متاعب كثيرة لابد ان تترتب عليها متاعب اشد لك .. فحالتها فى تدهور مستمر ، والضرورة تقتضى الآن بالحاقها بقسم الأمراض النفسية التابع للجامعة لتجرى لها الفحوص الضرورية لعلاجها ، وهذا ما لا يمكن أن يتم الا بأذن مكتوب وموقع عليه منه .. انت ولاشك تعرفين القانون فى هذا البلد ..

قالت : لكن ادخالها المستشفى سيمنعنى من الخروج والاستمتاع بالحياة ، فلماذا بحق الشيطان احبس نفسى فى بيت المجانين الذى تتحدث عنه ؟ ثم اننى قد تواعدت مع رجل لطيف على قضاء عطلة نهاية الاسبوع فى الشرب والرقص

معه ، وهذه فرحتى الوحيدة نظرا لأن « رالف » قرر أن يصطحب « بونى » ويقضى معها هذين اليومين عند اقاربه .. وبصرف النظر عن كل هذا ، ما شأنى انا اذا كانت « ايف هوايت » مجنونة .. افعلوا بها ماتشاءون دون ان تطلبوا منى معاونتكم ..

قال الطبيب : انك بمعاونتك لنا تسدين الى نفسك خدمة جليلة ، فبديلتك حالتها العقلية فى تدهور مستمر ، واذا لم تسرع الآن بانتهاز الفرصة لعلاجها فسوف تفقد عقلها نهائيا ، ونضطر الى ادخالها مستشفى للمجاذيب بقية حياتها ، وانت تعرفين انها فقيرة وزوجها بالكاد يكسب ما يكفى حاجات حياتهما ، ومعنى ذلك أن يستقر بها المقام فى مستشفى حكومى بالمجان حيث يعيش عشرات من فقراء المجانين ، فى عنبر واحد ، وباستطاعتك ان تتصورى نوع الحياة الذى ينتظرك هناك .. افليس من الأكرم لك أن نتعاون على انقاذها لننقذك من هذا المصير الرهيب ؟ !

قالت وقد بدأ عليها الخوف لأول مرة : لا أريد بالطبع أن يحدث لى ذلك .. ولست فى الحقيقة اكره « ايف هوايت » الى الحد الذى يجعلنى ادفعها الى مثل هذه النهاية البشعة .. ولكنى اخشى اذا انتم ادخلتموها المستشفى ان اعجز أنا عن الخروج والاستمتاع بالحياة ، ثم اننى احب ان اطمئن الى امر اخر : هل فى نيتكم ان تعالجوها بما يسمونه الصدمات الكهربائية ؟ اذا كان ذلك فرجائى الملح أن تفعلوا بها ذلك ، وأنا فى الخارج فلست احب أن تفرغوا هذه الشحنات فى رأسى اكراما لها .

وبعد أخذ وعطاء ، ومناقشات كثيرة طويلة ، قبلت « ايف بلاك » ان تكشف عن شخصيتها لرالف هوايت ، وأن تتحدث

معه فى الموقف ، وتتعاون اذا اقتضى الامر فى الحاق بديلتها بالمستشفى الجامعى للعلاج .

وزالت العقبة الأولى ، لكن القلق لم يترك الطبيب ..

فقد بقيت امامه مشكلة لاتقل خطورة عن الأولى ، وهى تأثير رؤية « ايف بلاك » على رالف .. فهذا الرجل المعذب يعيش فى حيرة قاتلة منذ تغيرت أحوال زوجته العاقلة الصبور واصبحت تفاجئه بتصرفات لاتطيح بحياته فقط ، بل تهدد استقرار ابنته الطفلة الوحيدة ، فضلا عن تدمير اقتصادياته المحدودة التى وصلت الى الحضيض منذ اشترت « ايف » الثياب الغالية ، واستهلكت بها جميع مدخراته .. وكبلته فوق ذلك بديون تحتاج الى سنين طويلة لسدادها .

لقد هدت هذه الصدمات العنيفة كيان الزوج المسكين ، فماذا يصيبه بعد ذلك اذا فوجىء برؤية ، « ايف بلاك » وقيل له انها الشخصية الاخرى لزوجته التى عاش معها سبعة اعوام على الأقل فى سعادة ما بعدها سعادة .

لكن الامل الوحيد الباقى لـ « ايف هوايت » يتركز فى دخولها المستشفى ، ودخول المستشفى لايسمح به القانون الا بأذن مكتوب من الزوج ، ومعنى ذلك انه لا مفر من مواجهته بالحقيقة .

واعد الطبيب كل العدة للقاء ، واجلس « ايف بلاك » فى غرفة اخرى غير غرفة المكتب الذى قابل « رالف » فيها .

وادخل الرجل الى حيث تجلس بديلة زوجته ..

ففوجىء بامرأة تجلس امامه تملك جميع المواصفات الجسدية التى تميز زوجته عن غيرها من النساء ، ومع ذلك لم تكن هى « ايف هوايت » فشعرها الاسود الصقيل هو هو ،

لكنه لم يكن فى يوم من الايام بهذه الروعة وهو ينسدل على كتفها العاجى باغراء ..

والعينان الزرقاوان هما هما ، لكنه على طول معرفته بهما لم يسبق أن رأى فيهما هذا البريق الشيطانى ولا النظرات المثيرة الجريئة التى لايمكن أن تصدر الا عن امرأة محنكة مجربة ؟ ! والساقان والذراعان كانت بالتأكيد هى هى ، ولكن كيف تغير تأثيرها عليه الى هذا الحد الذى صور له أنه يقف امام راقصة باليه تملك من كمال الجسم وجماله ما لاتملكه اية امرأة عادية .

ووقف الرجل مذهولا لايقوى على النطق .

وتضاعف ذهوله عندما حيته بصوت اجش عميق لايمت بصلة الى صوت زوجته ، ثم راحت تحادثه بعبارات سوقية ماكانت « ايف هوايت » لتقبل مطلقا ان تتفوه بها .

كانت هى « ايف هوايت » ولكنها لم تكن « ايف هوايت » !!

وبلا ادنى شفقة اخذت « ايف بلاك » تجيب عن اسئلة الطبيب وتكرر ما سبق أن قالته عن « رالف » وكيف انه مخلوق كريه بغيض يثير فى نفسها الاشمئزاز لمجرد رؤيته ، وأن « ايف هوايت » امرأة بلهاء غبية لقبولها المعيشة مع حمار مثله ، ومن واجبها ان تطلقه او تقتله لتتخلص منه ، فمن السخافة ان تتردد فى ذلك من اجل انانى قاس مجرد من الشعور والادراك .

كانت هذه الحقائق الموجعة المرة تنهال على رأس « رالف » وكأنها مطارق حديدية تضرب رأسه ، اذ لم يكن يخطر له على بال ان تحمل زوجته هذا القدر المخيف الهائل من الكراهية والأحتقار . ودارت الجدران من حوله ، وخيل

اليه كأن الأرض تهوى من تحت قدميه ، وحصن الزوجية الحصين ينهار فوق رأسه .

وهجره وقاره فلم يجد امامه سوى أن يتذلل ويستعطف ويستجدى الرضا من زوجته مستعينا فى التأثير عليها بما يعرفه عن ثقة من حبها الجنونى لابنتها الوحيدة « بونى » .

قال لها فى صوت مرتجف والدموع تملأ عينيه : وماذا عن « بونى » ابنتنا الوحيدة الحبيبة ؟ .. الا تشفقين عليها من الحرمان من عطف والديها ورعايتهما ؟ ! كيف استطيع ان اقوم بالواجب نحوها وحدى ودون ان تكونى الى جانبى معها ؟! ماذا افعل بها ؟ !

قالت بلا مبالاة صادقة غير متصنعة :

لماذا تسألنى ؟ افعل بها ماتشاء .

فبونى مشكلتك انت وزوجتك .. وليست مشكلتى انا .. ما هذا الغباء ؟ هل ينبغى ان أعيد عليك الكلام ألف مرة لتفهم أن الطفلة اللعينة من شأنكما وحدكما ولا علاقة لى بها حتى اشارك فى تحمل مسئوليتها ؟ !!

وبدا على وجهها الغضب الشديد ، وراحت تحك ساقيها باظفارها حتى اوشكت ان تدميهما ، وقالت : هذه الجوارب النيلون اللعينة .. انها تصيبنى دائما بحساسية فظيعة . ولست ادرى لماذا تصر هذه الغبية ايف على لبسها .

وكانت هذه مفاجأة اخرى ، فالجوارب النايلون لم تكن تصيب « ايف هوايت » بأى حساسية .

قالت : ألم ننته بعد ؟ والى متى تظل هذه المهزلة مستمرة ؟؟

وانتهى اللقاء المفجع وخرج الزوج وراء الطبيب وهو يجر

قدميه ويتمايل كأنه غير قادر على حفظ توازنه .

قال الزوج المسكين للطبيب : لست ادرى كيف أصف لك الموقف ، فلقد بدت لى عندما وقعت عيناى عليها انها زوجتى بالتأكيد ، ولكن كل دقيقة مضت اخذت تشككنى فى هذه الحقيقة ، واعتقد الآن انها امرأة اخرى لا تمت لمن أعرفها بصلة .

واستقر الرأى بينهما على الحاق المريضة بمستشفى الامراض النفسية .

لكن بقيت أمام الطبيب مشكلة استعادة شخصية « ايف هوايت » ، وحين خابت محاولاته اضطر الى أن يلجأ مرة اخرى الى التنويم المغناطيسى الذى سبق ان نجح بواسطته فى سبر اغوار نفسها .

وافلحت الطريقة .. وبعد ان نامت « ايف بلاك » نادى بديلتها . وحين فتحت المريضة عينيها تغيرت حالها فجأة : خبت النظرات فى عينيها . وماتت الابتسامة على شفتيها ، وانحنى ظهرها تحت وطأة احزانها ، وخفت صوتها وعاد الى رنته الطبيعية المنكسرة الوقور ، وأصبح حديثها مهذب العبارات منتقى الألفاظ .

وما ان عادت « ايف هوايت » الى وعيها .. حتى قالت : ماذا جرى ؟ .

هل كان امرا ذا بال ؟ يخيل الى اننى غبت عن الوعى لحظة ، ولكنى لست متأكدة من ذلك .

ثم بدا عليها الابتهاج فجأة وقالت :

رأسى يادكتور ، لقد شفى من الصداع تماما !!

قال الطبيب : هل تضايقك جوارب النايلون او تسبب لك حساسية ؟؟

قالت وقد اتسعت عيناها دهشة : لماذا هذا السؤال ؟ اننى ارتدى الجوارب النايلون طول عمرى ولم تسبب لى متاعب على الإطلاق ..

ثم كشفت عن ساقيها فاذا بالطفح الاحمر قد اختفى تماما ولم يبق له اثر ..

قال لها : الا يساورك الشعور احيانا انك اثناء غيبة الوعى تتحولين الى شخص آخر ؟

قالت وقد شاب القلق نظراتها : انا ؟ لست افهم ماذا تعنى بهذا السؤال !!



كان الطبيبان الزميلان « تيجين » و « كليلكى » يتشاركان فى علاج « ايف هوايت » ويتناوبان الجلوس معها ، ثم يجتمعان كل ليلة ليدرسا ما وصلت إليه حالتها حريصين على الا يكونا معها خلال جلسة التحليل الواحدة الا للضرورة القصوى حتى لاترتبك المريضة ويتبلبل ذهنها فى وجود الأثنين .

ولم يكن الطبيبان قد صادفا من قبل حالة من حالات المرض النفسى المسمى بإزدواج الشخصية ولا وصل إلى علمهما او علم المجامع الطبية المعترف بها حالة من هذا النوع ، وان كانت المراجع العلمية قد اوردت ذكره ، واكدت انه كان يسمى منذ قديم الزمن « لمسة الشيطان » التى استوحى منها بعض كبار الروائيين قصصا مثل « الدكتور جيكل ومستر هايد » لمؤلفها « روبرت ستيفنسن » و « دراكولا » لمؤلفها « برام شتوكر » .. لذلك بات لزاما على الطبيبين وقد اتيحت لهما هذه الفرصة النادرة أن يعكفا على دراسة هذه الحالة الاولى من نوعها دراسة وافية ، ويسجلا كل صغيرة وكبيرة مما يحدث فيها بكل وسائل التسجيل الصوتية والمرئية لتتوافر لهما الاسانيد القوية قبل ان يفكرا فى طرحها على المجامع العلمية .

ولكيلا تتأثر هيئة التمريض والعلاج فى المستشفى بأية فكرة مسبقة ، حرص الطبيبان على اخفاء كل ما يعرفانه من مرض « ايف هوايت » عن المشرفين عليها والمتصلين بها فى قسم الأمراض النفسية الذى اتفق على الحاقها به ، وكل ما طلبه المختصان النفسيان أن تراقب حركات المريضة وسكناتها بمنتهى الدقة والحيطة والحذر حتى لا تشعر بهذه الرقابة ، وأن يوضع تقرير عنها فى نهاية كل يوم يسجل فيه اى تصرف غير مألوف يأتى منها .

ودخلت « ايف هوايت » المستشفى ..

وفى خلال الأيام الأولى كانت مثلا لايبارى فى الرقة والهدوء والحياء والتضحية ، تقضى معظم وقتها فى خدمة المرضى وقضاء حاجاتهم ، واذا ساءت حال احدهم تتطوع « ايف هوايت » بالجلوس معه ومواساته الساعات الطويلة ، حتى اطلق عليها جميع من بالمستشفى لقب الراهبة الطيبة .. وكانت بالفعل كالراهبة فى طيبتها وعفتها وتفانيها ، وفى اوقات الفراغ التى لاتجد خلالها ماتفعله لخدمة الانسانية فى مجتمع عنبر المرضى الذى تعالج فيه ، تنتحى جانبا وتجلس وحدها تقرأ فى احد الكتب الأدبية القيمة التى أتت بها معها الى المستشفى .

وكان الطبيبان « تيجين » و « كليلكى » يواليان الجلوس معها كل صباح بعد ان يصلهما التقرير اليومى من المشرفين عليها بالمستشفى ، لقد اجمعت التقارير كلها على انها اقرب الى القديسة منها الى المريضة ، وأن تصرفاتها دائما طبيعية رصينة ليس فيها ما يلفت النظر بغرابته .

وفى جلساتها مع الطبيبين اخذ لسانها ينطلق بالكلام تدريجيا ، فعرفا منها ان اباها كان مزارعا وسمسارا فى آن

واحد ، ولقد كانت موارده المحدودة تسمح له بتوفير الضرورات لاهل بيته وقليل من الرفاهيات .. واخذت تؤكد فى كل مناسبة انها ظلت دائما محبوبة معززة من والديها ، ولقد حرصا على اسعاد طفولتها بدفء عواطفهما ، ولا تذكر مرة انهما لجأ فى تربيتها الى أى لون من الصرامة او العنف .. والمرات القليلة التى استحقت فيها الزجر والتأنيب لغلطة ارتكبتها ، كانت الأم دون الأب هى التى تتولى مهمة تقويمها .. ولكن بقدر واضح من الحكمة والحنان والعطف .

وسردت عليهما ايضا من ذكريات طفولتها ان امها وضعت بعد مولدها بسنوات قلائل توءما .. بنتين .. اعترفت « ايف هوايت » بأن عناية والديها بالصغيرتين الجديدتين اثارت غيرتها واقلقت نفسها ، لكن شعورها نحوهما لم يتسم مطلقا بالحقد والمرارة ، ثم ان حدة غيرتها خفت بمضى الايام حتى زالت تماما ، واصبحت تحمل لاختيها الصغيرتين حبا صافيا اصيلا لاتشوبه آدنى شائبة .

ومضت الأيام و « ايف هوايت » فى هدوء واستقرار .

ولم تعد تشكو على الاطلاق من الصداع او غيبة الوعى ، ولم ير المشرفون عليها من الممرضات واطباء الامتياز مايثير اهتمامهم فى تصرفاتها وحالتها العامة .

ثم حدث ذات يوم ان فوجئت رئيسة الممرضات وهى تقوم بجولتها المسائية المعتادة بـ « ايف هوايت » امام مريض شاب تقضى حالته بالتنقل دائما على كرسى متحرك لعجزه عن السير وكانت هى ترقص له وتغنى بغاية الخلاعة ، ولفرط مرحها تحاول أن تجذب المريض من على كرسيه لكى يشاركها فى الرقص .

وانقذوا المريض الكسيح من بين يديها بجهد جهيد ،

وقادوها الى حجرتها بزعم ان موعد تعاطيها الدواء قد حان ، وظل الجميع طول الليل يتحدثون بمنتهى الدهشة عما اصاب الراهبة الوقور ، ولم يستطع احد لا من المرضى ولا الممرضات ان يفسر ما دهاها من تغير عجيب !!

وجاء بالتقرير الصباحي الذى اعتادت رئيسة الممرضات ان تقدمه الى الطبيبين يوميا : ان « ايف هوايت » استيقظت فى الصباح التالى وقد عادت الى طبيعتها الهادئة الرائعة ، وقابلتهم جميعا بلا حرج او ارتباك ، واستأنفت خدماتها الانسانية للمرضى وكأن شيئا لم يحدث على الاطلاق فى الليلة السابقة .

وبعد ذلك بأيام اهتز مجتمع قسم الأمراض النفسية لامر آخر ، وهو أن احد اطباء الامتياز الجدد ، وكان صغير السن وسيم الشكل ، تطوع لفرط رغبته فى الاستفادة العلمية بأن يقوم بالرعاية الليلية ، زيادة على عمله اليومى المعتاد .

وكان الطبيب الشاب يعرف « ايف هوايت » على صورتها الملائكية الرائعة ، ولكن الذى حدث فى مساء ذلك اليوم انه جلس بعد العشاء يتسلى امام التليفزيون .. فاذا بها تقبل عليه ، وترجوه بصوت عميق اجش ان يذهب معها الى غرفتها بدعوى أنها فى حاجة لمن تفتح له قلبها وتفضى له بمتاعبها . وانخدع الطبيب بحديثها المعسول فذهب معها الى غرفتها ، ولكنه لم يلبث أن خرج جريا وقد احمر وجهه وتصبب العرق من جبينه .. واتصل فورا برئيسة الممرضات تليفونيا ، وطلب منها أن تأتى فورا لاغاثته . وحين عرفت الرئيسة بتفاصيل ما فعلته « ايف هوايت » بعد أن استدرجته الى غرفتها ، وكيف نجا منها بنفسه فى الوقت المناسب رفعت الأمر الى الطبيبين مع رجاء ملح من الطبيب الشاب بنقله فورا من هذا القسم الى قسم آخر لاتكون به « ايف هوايت » !!

واصبح من الضرورى على الطبيبين ان يستحضرا « ايف بلاك » ويعرفا منها تفاصيل الموضوع ، ولم يكن من سبيل الى ذلك الا بتنويم « ايف هوايت » مغناطيسيا كما حدث فى المرة السابقة حين ارادوا صرف « ايف بلاك » .

ونجحت الفكرة ونامت « ايف » بمنتهى السهولة ، ولما نودى على « ايف بلاك » لبت النداء لفورها ، وفتحت المريضة عينيها ، وقد تبدل شكلها تماما كما حدث فى المرة الأولى ، وقالت بصوتها الاجش العميق لطبيبها المفضل : أهلا بك ايها العزيز ، ماذا لديك من اخبار ؟

قال : بل انا الذى اريد ان اتوجه اليك بهذا السؤال ..

قالت فى ازدراء : هذا المكان الذى ادخلتم « ايف هوايت » فيه غريب للغاية .. وقد قضيت الأيام الأولى فى فحصه ودراسته ، ولكنى ضقت ذرعا بهذه الحياة الخاملة البغيضة ، فتغلبت على « ايف هوايت » وخرجت لانطلق بطريقتى الخاصة .

قال : ولكنك وعدتنا بعدم التدخل فى حياة « ايف هوايت » لتسهلى علينا بذلك مهمة علاجها الذى اذا لم يتم فسيكون مصيرك معها مستشفى الأمراض العقلية مدى الحياة .

قالت فى حنق شديد : انكم تبالغون فى استغلالى ، فلماذا يطلب منى ان اسهم فى تسهيل علاجها-؟ ! وما شأنى أنا بها ، ولماذا تحملوننى مسئولية نحو انسانة غريبة عنى لا تصلنى بها ادنى صلة ؟

ثم ضحكت عاليا وقالت وكأنها تذكرت شيئا : على فكرة هذا الطبيب الشاب افسد على خطتى بما اصابه من خوف وفزع .. انه مازال غرا اخضر العود .. لم ينضج بعد ولم تكتمل رجولته .. وعلى كل حال لم اكن فى الحقيقة ابتغى

سوى مضايقة « ايف هوايت » كما سبق ان فعلت اثناء زيارتى لفلورنس .. حين خرجت ذات مساء والتقطت رجلا من الطريق ، وسكرنا معا ورقصنا واستمتعنا الى مطلع الفجر .

وعادت تضحك مرة اخرى واردفت تقول : « آه لو رأيتها حين استيقظت فى الصباح ووجدت انها ترقد فى فراش مع رجل غريب لم يسبق لها أن رأته طول حياتها .. كاد قلبها يقف لفرط الذعر الذى اصابها ، وظلت ترتجف كأنها اصيبت بقشعريرة شديدة ، ثم جمعت حوائجها وخرجت تجرى من المكان تاركة الرجل المسكين فاغرا فاة دهشة وعجبا .. كنت فى هذه المرة اريد ان ارى وجهها حين تستيقظ وتجد الطبيب الصغير بجوارها ، فتنال الفضيحة التى تستحقها هذه الغبية التى ترتدى مسوح القديسين ، وتعمل دائما على ان تكون فوق مستوى الخطأ !

واسقط فى يد الطبيبين ، ولم يجدا امامهما من سبيل سوى ان تعرف « ايف هوايت » بوجود غريمتها كى تبذل من جانبها جهدا فى التغلب عليها .

غير انهما لم يكونا على ثقة بتأثير ذلك عليها ، فقد تنقذها هذه المعرفة وقد تحطمها تماما ، لكن هناك ايضا الهواجس التى تنتابها نحو مايحتمل ان تكون قد فعلته ، وهى فى نوبات غيبة الوعى ، واستمرار هذه الهواجس لا يستبعد مطلقا ان يدمرها .

وتناقش الطبيبان فى كافة الأحتمالات واخيرا استقر بهما الرأى على مكاشفتها بالحقيقة .

وادخل عليها الطبيبان الخبر بالتدريج خلال جلسات التحليل النفسى التى كانا يعقدانها لها يوميا اثناء اقامتها بالمستشفى .

وبدا بظاهرة السير اثناء النوم وضربا لها أمثلة بذلك ، وانتقلا من هذا الموضوع الى الأصوات التي يسمعها بعض المرضى وقدما لها التفسير العلمى لهذه الحالة .

وبهذا التدرج العلمى المقنع وصلا الى مرضها ، وشرحا لها قضية ازدواج الشخصية ، وحدثاها عن « ايف بلاك » وكيف تتصرف وتتحدث وتسهم بالقسط الأوفر فى الايقاع بينها وبين زوجها « رالف » مثلما فعلت حين اشترت الثياب الغالية وخربت بها ميزانيته .. وسردا عليها كافة الأعمال المستهترة التى قامت بها غريمتها مثل شرب الخمر ومضاجعة الرجال الغرباء .. وغيرها من المظاهر الفاضحة التى فوجئت بها « ايف هوايت » حين كانت تستيقظ من حالات غيبة الوعى التى تصيبها .

واستمعت المريضة الى كل هذا بغاية الاهتمام .

وبدأ واضحا انها ارتعبت للحقيقة واهتزت من اعماقها .

وعندما اهتدت من الطبيبين الى مصدر الصوت الذى كانت تسمعه بحثها على ضرب زوجها او قتله ، تضاعف خوفها من ان تتمكن غريمتها فى يوم من الأيام من دفعها الى ارتكاب جريمة تقضى عليها عقليا واجتماعيا وماديا .

واكثر ما كان يخيفها ان تكون « ايف بلاك » قد استدرجتها اثناء مغامراتها الجنونية الى ارتكاب الخطيئة ، وهو ما لايمكن لشريفة عفيفة مثلها أن تحتمله وترضى ان تعيش بعاره .. لكن الطبيبين اكدا لها أن « ايف بلاك » كانت تنسحب دائما فى آخر لحظة قبل ان يتمكن الرجل الذى تلتقطه من أن ينال وطره منها ، ولقد كانا صادقين فيما ذكراه لها ، اذ انهما من خلال أحاديثهما مع « إيف الشيطانة » تأكد لهما رغم كل ما تفعله من ألوان الاستهتار التى لا تجرؤ عليها سوى نساء الطريق :

مثل السكر والرقص والمغازلة والتقاط الرجال من الطريق ، تحرص دائما على أن تهرب بنفسها فى اللحظة المناسبة ، مما يدل على انها رغم كل استهتارها تحتفظ فى قرارة نفسها بأصول العفة ، وهذه الأصول الدفينة هى التى تحول دونها ودون تخطى الفاصل النهائى بين الحلال والحرام !

وادخل هذا الكلام طمأنينة على نفس المريضة ، وأخذت حالتها تتحسن باطراد واضح ، وقلت نوبات الصداع ، وخفت وطأتها ، كما انقطعت الأصوات التى كانت تسمعها ، وبذلك اصبح وجودها بالمستشفى غير ضرورى ، ولم تعد تحتاج الا لبعض الجلسات الاسبوعية او الشهرية التى يمكن اتمامها من خلال العيادة الخارجية لقسم الأمراض النفسية .

وبهذا الرأى تقرر الأفراج عن « ايف هوايت » .

وذات صباح خرجت من المستشفى برفقة زوجها والدنيا لاتكاد تسعها لفرط سعادتها بالعودة الى بيتها حيث تعيش ابنتها الحبيبة « بونى » التى لم يسمح لها برؤيتها أثناء اقامتها بالمستشفى .

وكان « رالف » هو الآخر سعيدا بذلك بعد ان عرف بحقيقة مرضها وزالت نقمته عليها ، وتأكد له أن كل ما صدر عنها ، أتى وهى مسلوبة الأرادة لا عن قصد وتعمد .. وقبل خروجه بها من المستشفى قطع على نفسه وعدا بأن يكون رفيقا بها ، حنونا عليها ، والا يشتد فى نقدها او توجيهها تلافيا لخدش مشاعرها ، واحتمال مايؤدى ذلك اليه من انتكاس حالتها .

ومضى شهران على خروج « ايف هوايت » من المستشفى وحالتها فى تحسن مطرد .

وكانت تعود الى الطبيبين بين آن وآن لمداومة الجلسات النفسية ، وقد اكدت لهما انها تخلصت تماما من الصداع ،

ولم تعد تصيبها نوبات غيبة الوعى الا فى اضيق الحدود وابسط الأشكال ، ومن ذلك مثلا حين عاد زوجها ذات يوم ظهراً يطلب الغداء .. وكانت تعتقد انها قدمت له الافطار قبلها بدقائق .. كذلك الأصوات الوهمية فقد قلت كثيرا عن ذى قبل ، ولم تعد مسموعة جيدا او مفهومة . ولم يصل ايضا الى علمها ، ولم يلفت أحد نظرها إلى «إيف بلاك » قد انتهزت الفرصة وخرجت تمرح لتحرجها .

فيما عدا حادثا بسيطا اثار قلقها ، فحين كانت تعيد تنظيم دولاب ملابسها الذى تعودت ان تخزن فيه احتياجات المواسم الماضية ، عثرت تحت اكوام البياضات والأغطية على ثوب من الحرير الرخيص لونه احمر فاقع ومعه زجاجة من العطر الحقير الرخيص ، عندئذ عرفت ان غريمتها هى الفاعلة ، وبمراجعة حساباتها الخاصة ، وجدت نقصا فى المبلغ الصغير الذى تدخره لنفسها من مصروفات البيت ، والنقص يساوى ثمن الفستان الذى وجدته .

واختارت « ايف هوايت » ان تكتم امر هذه الحادثة عن زوجها ، ولم تشأ ايضا ان تحرق الثوب الاحمر كما خطر ببالها ان تفعل فى البداية ، خوفا من ان تثير بذلك ثائرة غريمتها وتدفعها الى التمرد والتحدى .

كانت تريد ان تبقى شخصيتها الاخرى هادئة كى يتسنى لها أن تسوسها بقدر الامكان ، وتتلافى الاخطاء والفضائح .

وسارت الأحوال عموما بهدوء فيما عدا حادثا واحدا دفع بايف هوايت الى القلق الشديد .. فبينما كانت تسير فى الطريق ذات يوم ، وجدت نفسها وجها لوجه مع جندى فى مقتبل العمر لم يسبق لها أن عرفته او قابلته فى اى وقت أو مكان .. وما أن رآها الجندى حتى تهلل وجهه بالفرح

الشديد ، واخذ يحييها بحرارة ولهفة ، ويسألها عاتبا اين كانت ولماذا لم تف بالوعد الذى سبق ان اتفقت معه عليه .. ففهمت « ايف » من ذلك أن شخصيتها الاخرى سبقتها اليه ووثقت روابط المودة بينه وبينها .. لكنها رغم الهزة العنيفة التى اصابتها تمالكت نفسها ، وتحدثت اليه بمنتهى الجفاء والبرود مؤكدة له أنها لاتعرفه ولا تحب ان تعرفه .. ولم يقبل الجندى هذا الكلام بسهولة ، لكن اللهجة التى تحدثت بها اليه ، والصوت الذى تكلمت به والملابس الوقورة الحقيرة التى كانت ترتديها ، دفعه هذا كله الى التشكك فى تصوره ، فادار لها ظهره وتركها تذهب الى حال سبيلها وهو فى غاية التعاسة والشقاء .

ورغم الاحراج الذى شعرت به احست بنوع من الرضا عن نفسها للشجاعة التى واجهت بها الموقف ، والمهارة فى قدرتها على الخروج من المأزق بسلام .. وازدادت طمأنينة حين وجدت أنه منذ خروجها من المستشفى حتى ذلك اليوم ، لم يحدث ما يمس بكرامة « رالف » ، أو بضعه فى موقف محرج امام نفسه او أمام الناس .

وعندما علم الطبيبان بهذه التفاصيل تملكهما القلق الشديد .. فالوقائع التى حدثتهما بها المريضة متصورة انها أمور بسيطة ، لم تكن تبعث على الاطمئنان ، وتفسيرها الوحيد أن « ايف هوايت » مازالت بعيدة عن مرحلة الشفاء ، وان شخصيتها الأخرى موجودة ولديها القدرة على ارباكها وتعكير صفو حياتها .

■ ٦ ■

كان « رالف هوايت » بعد أن علم بمرض زوجته ، ورأى بعينيه ما يقطع بصحة هذا المرض ، قد راجع نفسه فى سلوكه معها ، وقسوته الدائمة عليها ، وجفائه الشديد فى معاملتها ، فحاول أن يصلح خطأه بتعويضها عن الأحزان التى سببها لها .. ولم يعد يتعالى على اظهار عواطفه ، نحوها ، أو يبخل بالاعتراف بتقديره لها ، واعتزازه بفضائلها الكثيرة التى سبق أن أنكرها فى موجة الغرور التى انجرف معها ..

ورغم سعادة « بونى » الصغيرة بعودة الحياة الطبيعية مع والديها ، ووضوح توافر حسن نية الزوجين ، ورغبتهما المشتركة فى التعاون للوصول بسفينة الزوجية الى بر الأمان ، ظل الزوجان بعيدين عن الغرض المبتغى ، ولم يحققا أى تقدم محسوس فى عملية تقاربهما العاطفى ، وبدت حياتهما فى الظاهر طبيعية ، ولكنها فى الباطن كانت على العكس تماما ... فالواقع أن « أيف » رغم عودتها الى زوجها سعيدة لم تستطع أن تحتمل أى لمسة منه ، ونفرت تماما من تلبية حقوقه الزوجية ، وامتنعت عنه امتناعا كاملا ، ولقد انعكس ذلك على علاقتهما الاجتماعية ، فكانا يقضيان الليالى جالسين جنبا الى جنب دون ان يتبادلا كلمة واحدة ..

ووجد الطبيبان أن استدعاء « إيف بلاك » لم يعد يحتاج الى تنويم « أيف هوايت » مغناطيسيا ، وأصبحت المسألة لاتتطلب سوى أن تنادى البديلة بأسمها فتحضر فورا ، مما يدل على أن الاثنتين عقدتا لونا من الهدنة خففت من وطأة المعركة القائمة بينهما .. وأن ظلت البديلة على احتقارها لايف هوايت واستهانتها بها لاصرارها رغم كل ما أصابها من عنت زوجها واستبداده ، على التمسك به ومراعاة مشاعره واحاسيسه ، والسعى بكل جهدها الى اجابة مطالبه وتوفير اسباب الراحة له . مع أنه مجرد « كبش » لايستحق فى رأيها رعاية أو تقديرا من اية امرأة فى الدنيا ..

وكانت هذه المشاعر التى تحملها الشخصية الثانية هى المشاعر الحقيقية لايف هوايت .. المشاعر الخفية المدفونة بين طيات عقلها الباطن ، والتى يرفض عقلها الواعى ، لفرط طيبتها وتدينها وحرصها على استقرار ابنتها ، أن يوجهها أو يعترف بها ، لهذا كان من الضرورى أن تشغل « ايف هوايت » بشىء ما يملأ وقتها ويبعد ذهنها عن متاعبها الدفينة ، ولكن هل يمكن أن يحدث ذلك دون موافقة الشخصية الاخرى القديرة على التدخل وافساد كل شىء ؟!

ونادى الطبيبان على « ايف بلاك » فحضرت فى الحال .. سألها أحدهما عما اذا كانت هى التى اشترت الثوب الاحمر الخليع والعطر الرخيص من النقود المدخرة من مصروفات البيت ، فاعترفت بذلك دون أدنى تردد ..

قالت : أنا لا أنكر أن هذه النقود خرجت فى الأصل من جيب « رالف » ، ولكنها لم تعد نقوده مادامت مدخرة من مصروف البيت ، فمن حقى ان انفق منها على متطلباتى

الشخصية ، فانا انسانة ، ومن حقى ان استمتع بقدر من الحرية لأحيا حياتى الخاصة .

قال لها : مادمت تريدين أن يكون لك مال خاص تنفقين منه كما تريدين دون أن يحاسبك أحد ، فلماذا لاتشتغلين ، ومن الأجر الذى تحصلين عليه تشترين كل ما تشتهين ؟

قالت بابتسامة السخرية : عجيب أمرك أيها العزيز .. إن عيبك هو أنك تثير دائما موضوعات غريبة .. كيف تقترح علىّ أن اشتغل وأنت تعرف مدى نفورى من الاستقرار فى مكتب أو متجر افنى بالعمل فيه زهرة شبابى ؟! هذه ليست حياة على الاطلاق ، ربما تكون الحياة التى تناسبها هى ، لكنها تثير الملل فى نفسى .

سألها : والجندى الذى اعترض طريق « ايف هوايت » ، متى عرفته ؟ وأين ؟

قالت : أنا لا أعرف هذا الجندى ولا صلة لى به ..

قال : بل أنت تكذبين ولقد اعتدنا منك هذه الرذيلة .. فاعترفى بالحقيقة .

قالت ضاحكة : عيبك الوحيد يا دكتور أنك تصدق كل كلمة تقولها لك هذه الغبية البلهاء ، مع أنها مخادعة ، وكثيرا ما تتظاهر بغير الحقيقة من أجل أن تحتفظ بالصورة الملائكية التى اشتهرت بها بين الناس !

قال لها : أريد الحقيقة فدعيك من المراوغة ..

قالت دون خجل أو حياء من كذبها السابق : طبعا اعرفه .. فقد قابلته ذات ليلة فى أحد مراقص « كولمبيا » أثناء زيارتى لفلورنس .. وجدته مسليا ومهووسا وقضيت معه السهرة أرقص وأغنى ، ولقد كاد يجن اعجابا بى ، فوعدته بالعودة اليه فى الليلة التالية ، ولكننى لم افعل .. كنت أريد أن

اتخلص منه بعد ان فهمت من تلميحاته الوقحة مايبتغيه مني .. ولما تصادف وقابلته في ذاك اليوم ضايقني بسماجته والحاحه فانسحبت بسرعة وتركته لها لتبرد حماسته بجمودها ورجعيتها .. كان يظن أني بلهاء ، وفي استطاعته ان يستدرجني ويضحك علي ، وليس أبغض الى قلبي من الانسان الذي يتصور انه يقدر على استغفالي !

وانتهت الجلسة دون ان تقتنع « ايف بلاك » بضرورة العمل « لأيف هوايت » .. ورأى الطبيبان أن يؤجلا الحديث في هذا الموضوع الى مناسبة أخرى .. وشجعتهما على ذلك فترة التحسن الصحي التي كانت المريضة تمر بها والهدنة التي يبدو أن الشخصيتين عقدتاها معا ..

لكن هذه المرحلة الهادئة السعيدة لم تدم سوى شهور معدودات ، وعادت بعدها المتاعب تعكر صفو الاسرة الصغيرة ..

وكان الجدار الذي اقامته المريضة بينها وبين علاقتها العاطفية بزوجها ، وفشل محاولاته في استرداد قلب امرأته .. قد اصاباه بحالة مؤلمة من الحزن والحيرة والتمزق النفسي ، فأخذ يكثر من قضاء أوقاته خارج البيت ، ويطلب المتعة في أماكن أخرى بعيدة بما يقتضي غيابه أحيانا أياما أو ليالي متتابعة ..

ولقد أحست « ايف » بما يعنيه هذا الغياب ، وما يحتمل ان يقدم عليه خلاله زوج محروم من حقوقه الشرعية ، فازدادت ذبولا ونحولا على مضي الأيام ، وتدهورت حالتها الصحية تدهورا ملحوظا .. والتدهور معناه ضعف المقاومة ، فانتهزت « ايف » الأخرى هذه الفرصة ، وعادت الى ممارسة الاعيبها المعهودة ، ومن ذلك أنها أخذت تستغل أوقات غياب « رالف »

عن البيت ، فتخرج هى أيضا إلى الشوارع تمارس حياة المجون التى تحبها غير مبالية بالطفلة الصغيرة « بونى » ولا عابئة بما تتعرض له من أخطار بتركها وحيدة فى البيت .

وكان الأب قد اتخذ منذ بداية الأمر الحيطة لذلك ..

فبمجرد أن عرف بمرض زوجته واقتنع بحقيقته ، أفهم الصغيرة أن أمها مريضة تصيبها نوبات فجائية تدفعها الى الخروج من البيت ، واذا حدث ووجدت الطفلة نفسها وحيدة ، فعليها ان تلجأ فورا الى اصدقائهم من الجيران .. وتبقى لديهم الى حين عودة أحد الوالدين ..

وعملت « بونى » بمشورة أبيها ، فكانت اذا وجدت أمها تختفى فجأة فى غيبة ابيها تلجأ الى الجيران الاصدقاء بعد ان توصد خلفها باب البيت .

ثم حدث ذات ليلة ان اختفت « ايف » تاركة الطفلة وحدها ، ولما ذهبت « بونى » الى الجيران لم تجد أحدا منهم بالبيت .. كانوا جميعا بالخارج والبيت مغلق مظلم ، فاستبد بها الرعب .. وعادت الى منزلها جريا وهى تصرخ بأعلى صوتها ، فتعثرت فى الطريق ، وسقطت على الأرض ، فأصيبت ساقاها بتسلخات شديدة ..

وأغمى على الطفلة ..

وعاد الأب بعد منتصف الليل فوجدها ملقاة على قارعة الطريق وهى مازالت غائبة عن الوعى ..

وبعد ساعة أو بعض ساعة اذا بزوجته تعود وقد ارتدت الثوب الأحمر الخليع والعطر الرخيص يفوح منها ..

وكانت القشة التى قصمت ظهر البعير ..

فقد الرجل سيطرته على غضبه ، وانهال على زوجته ضربا

بمنتهى القسوة ، ثم انقطعت اخبار الزوجين عن الطبيبين مدة ، ولم تعد تصلهما معلومات عن أحوال المريضة ..

ثم جاءهما بريد الصباح ذات يوم ، برسالة مكتوبة بخط ردىء وعبارات ركيكة ، وقد جاء فيها : « أيها العزيز .. رأيت من الضرورى أن أبلغك بأن حالة « ايف هوايت » قد ساءت الى حد بعيد ، ولقد حاولت اليوم ان تقتل نفسها ولكنى منعتها حماية لنفسى لا حماية لها .. وهى حريصة على ان يظل مشروع الانتحار سرا لا يعلم به سواها .. ولكنى قررت ان اخبرك خوفا ان تعيد الكرة ، وقد لا أقوى فى المرة القادمة على منعها » ..

ووقعت « ايف بلاك » على الرسالة بالحروف الاولى من اسمها !

واتصل احد الطبيبين بالمريضة تليفونيا ، فوافقت ان تحضر اليه فى الموعد الذى حدده لها ، ولقد اعترفت له بانها كانت فى الفترة الاخيرة غاية فى الشقاء ، لكنها انكرت تماما قصة محاولتها الانتحار ، بل واستنكرت بعنف احتمال حدوث ذلك نظرا لحرصها على سعادة ابنتها ، واحتراما لعقيدتها الدينية التى تحرم الانتحار .

وبعد تردد واضح اعترفت لطبيبها بانها قررت ترك « رالف » نهائيا ..

لن تطلقه ، ولكنها ستنفصل عنه على امل أن يعالج الزمن ما تصدع من علاقتهما الزوجية ، فتعود اليه من أجل رعاية « بونى » التى ترى امها أن وجودها معها وهى فى هذه الحالة المرضية يهددها بالاخطار .. فأمام الحقيقة الدامغة كانت مضطرة لأن تعترف بأنها فى مرضها الخاص لم تعد كفئا لرعايتها ، وقد تصيبها بأضرار خطيرة دون ان تقصد أو تعى

مثلما حدث حين اغمى على الطفلة فى الطريق ، وقبل ذلك عندما حاولت خنقها .

ومع ان « إيف » كانت تتكلم بمنتهى الهدوء عن أملها فى الشفاء والعودة الى ابنتها فان نبرات صوتها المتقطعة والدموع التى تترقرق فى عينيها أوشكت ان تنطق صراحة بيأسها التام من الشفاء ، واقتناعها الدفين بأن حالتها المرضية ستزداد سوءا مع الأيام .. فحماية لابنتها يجب أن تبتعد عنها بسرعة .

وهكذا اعدت الترتيبات لكى تسافر « بونى » الى جديها لأمها ، فلقد كانا على قيد الحياة ، وهما مثلان فى الطيبة والحنان ، وتعلقهما بحفيدتهما واضح لاشك فيه .

ورضى « رالف » بفكرة الانفصال عن زوجته ، لعل بعده عنها يساعدها على الشفاء ويعالج نفورها الشديد منه .. وقرر ان ينتقل الى مدينة اخرى يزاول فيها العمل من جديد ، وكانت هذه تضحية بالغة من ناحيته ، اذ أن عمله الحاضر لايمكن أن يعوض فى مدينة اخرى ، ولسوف يضطر أن يبدأ من أول السلم فى أى مصدر للرزق يعثر عليه .

وتقديرا لتضحيته هذه صممت زوجته المريضة بدافع من نبلها الاصيل ان تتولى هى مسئولية الانفاق على ابنتها ، اذ مادامت هى السبب فى تحميل الاسرة كل هذه المشقات ، فليس اقل من أن تعمل ، ومن دخلها تؤدى الواجب المالى نحو ابنتها ... فضلا عن ان العمل قد يشغل ذهنها عن متاعبها ويساعدها على سرعة الشفاء ..

ونادى الطبيب على الشخصية الأخرى ليعرف وقع قرار « ايف هوايت » عليها .. فحضرت « ايف بلاك » بلا ادنى

تردد ، وتقبلت الفكرة بمزيج من الرضا وعدم المبالاة ، قالت : ربما تكون هذه الغبية مازالت على ذرة من الذكاء لتواتيها هذه الفكرة ، فلعل العمل والبعد عن الآخرين ينقذانها من التهريف الذى يطوف بخاطرها ..

ثم أردفت تقول للطبيب وهى تبتسم ابتسامة ساخرة : اتدرى ايها العزيز انها يوم شرعت فى الانتحار كانت حقيقة جادة ، وعندما رأيتها تمسك باحدى شفرات زوجها وتقربها من رسغها ، تاكد لى انها سوف تنفذ عزمها وتقطع شرايينها .. ولما كانت وحدها بالبيت ، وليس هناك من يسرع الى انقاذها ، فمعناه انها ستموت حقا ، وبموتها اموت انا ايضا .. ولما كنت احب الحياة ولا أريد ان أموت ، اضطررت ان أحول بينها وبين تحقيق الفكرة المخيفة التى استقر عليها فكرها ..

وانفرط عقد الأسرة بعد اسبوع .. سافرت « بونى » الى جدتها ، وذهب « رالف » الى مدينة اخرى يبحث فيها عن رزقه ، والتحقت « ايف هوايت » بعمل تتعيش منه وتتولى الانفاق على ابنتها .. ولم يكن العمل جديدا عليها ، فقبل زواجها كانت تعمل ، وبعد الزواج ايضا استمرت فى العمل بأمر « رالف » مساهمة فى نفقات البيت ، ولم يسمح لها زوجها بترك العمل الا قبل ايام من موعد ولادتها « بونى » .

وكانت تتقن الكتابة على الآلة الكاتبة ، وتعرف كيف تعمل أمام لوحة التليفونات ، واستعانت بهاتين الخبرتين فى البحث عن عمل ، ولكنها لم تجد مع الأسف سوى وظيفة متواضعة جدا ضئيلة الاجر ، ولايساعد دخلها على توفير اسباب الحياة المعقولة ، فكان عليها ان تتقشف لكى تستطيع أن تعيش

وتبعث الى والديها بنفقات « بونى » .. وأخذت من اللحظة الاولى تقتر على نفسها ، فشاركت احدى السيدات فى غرفة حقيرة بفندق شعبى من فنادق الدرجة الثالثة او الرابعة ، لكى تنام الاثنتان فيها وتتقاسما الاجر .. وأصبحت تبخل على نفسها بالضرورات التى تعتبر على ادنى المستويات شيئا مماثلا لفتات مائدة الحياة .

وبالرغم من كل الشقاء والمشقات التى اختارت ان تقاسيها اكراما لابنتها الحبيبة « بونى » لم تجد « ايف هوايت » الراحة النفسية التى تبتغيها ، اذ ظل القلق ينتابها من ان تطاردها شخصيتها الاخرى فى مقر عملها ، فتحرمها الوظيفة التى تكبدها من المشقة اضعاف الاجر التافه الذى تتقاضاه منها ، مما يضطرها الى ان تهبط بطعامها الى ما دون الحد الادنى الذى يحتاج اليه جسدها ..

وبفضل معرفة «ايف هوايت» بشخصيتها الاخرى ، أصبح فى مقدورها ان تروضها اكثر من ذى قبل ، وأن تقصر خروجها على عطلة نهاية الاسبوع بعيدا من رؤسائها وزملائها فى العمل محافظة على سلوكها الوقور الذى يلائم كرامة الوظيفة ..

ومع ذلك لم تنجح فى أن تتحكم فيها نهائيا ، فكانت « ايف بلاك » تستغفلها احيانا ، وتخرج خلال العمل لاوقات قصيرة ، ولم تكن المريضة بعد ذلك تعرف بما حدث الا من خلال الملاحظات الساخرة التى يتبادلها الزملاء عنها ..

وعندما اشتد بها الرعب لم تر بدأ من تقديم استقالتها ، وتركت هذا العمل درءا للفضيحة ..

وتكرر تنقلها من عمل الى آخر ، حتى انها خلال العام

الواحد الذى انصرم منذ انفصالها عن زوجها وابتعادها عن ابنتها ، جربت خمسة أعمال على الاقل .. ولقد كان لكثرة تنقلها هذا اثره السيىء على فرص عملها ، فاصحاب الاعمال الجدية المربحة كانوا يرفضون تشغيلها بمجرد معرفتهم بالمدد القصيرة التى تقضيها خارج العمل ، مما اضطرها تحت ضغط الحاجة الى الرضا باعمال اقل قيمة وأجرا .. ولقد ادى ذلك الى مزيد من تقتيرها على نفسها الى جانب الوحدة القاتلة التى فرضتها على نفسها بهروبها من عقد صداقات مع زميلاتها ، وامتناعها تماما عن اشتراكها في اى لون من الترفيه الاجتماعى .. وكل ما كانت تسمح به لنفسها هو الجلوس امام باب الفندق الحقير الذى تشغل فيه نصف غرفة ، لتشم بعض الهواء ، ثم لا تلبث ان تختفى فى فراشها ..

وكان بين نزلاء هذا الفندق مدرس ثانوى متقاعد يعيش هو وزوجته فى احدى الغرف ، ويجلس امام الباب فى المساء ليشم الهواء .. ولقد استوقف نظر هذين الزوجين المثقفين الحساسين ما يفيض به وجه « ايف » من احزان مكبوتة ، فلما رأياها تقضى عطلة نهاية الاسبوع كلها تقرأ كتاب شعر ، انتهز الرجل الطيب هذه الفرصة ، ووجه اليها بعض عبارات الحديث ، فتجاوبت معه وبدأ عليها المرح لأول مرة حين وجدته شغوفا بالشعر مثلها ، يعرف الكثير عنه مثلما تعرف ..

وقامت صداقة بين الطرفين ، وبقيامها اخذت حياة « ايف هوايت » تتغير الى الأفضل ، واصبح لحياتها المتقشفة الشقية بعض الطعم والمعنى ، لكن شخصيتها الأخرى استكثرت عليها هذه السعادة الجزئية ، فقررت ان تخوض الميدان لتعكر عليها صفو حياتها .

وحدث فى ذات مساء ان خرجت « ايف بلاك » ، وخلعت الثوب الحقير الذى ترتديه توأمها ، وبحثت فى قاع الدولاب حتى عثرت على الفستان الاحمر الخليع ، فارتدته وتعطرت ، ثم خرجت من الغرفة بعد ان صبغت وجهها بالمساحيق ، وأطلقت شعرها الاسود الغزير على كتفيها ..

وسارت الى باب الفندق غير مبالية بشىء ..

وهناك استوقفها صوت المدرس العجوز وهو يلقى عليها تحية المساء ..
ولكن ما أن تبينت عيناه شكلها الجديد وثيابها الخليعة المثيرة ، الا وارتفع حاجباه بغاية الدهشة ، وقال وكأنه لايصدق عينيه : ما هذا ياعزيزتى ؟ .. انت اليوم ولاشك رائعة الجمال حقيقة رائعة ..

غير أن الضحكة الخليعة التى اطلقتها .. والصوت العميق الاجش الذى اجابت به عليه ، دفعه الى التردد ، فتصور له انه ربما اخطأ فى اعتقاده انها زميلتهم الطيبة الوقور .. وعلى سبيل التأكد اسمعها قطعة شعرية كانا يتناقشان فيها اثناء جلستهما فى الليلة السابقة ، فظنت « ايف بلاك » الجاهلة التى لم تكن تعرف شعرا او تفهمه ان العجوز يغازلها ، فاطلقت ضحكة طائشة ، وقالت له وهى تغمز له بعينها : أنت يا قطيطى العزيز خفيف الروح ، وكلامك حلو مسل ، ولكنى فى عجلة من أمرى ، فمساء الخير ، واسمح لى بالانصراف ..
وانطلقت تجرى فى الشارع !!



من هذه الصور المتتالية يمكننا أن نفهم لماذا انتاب الطبيبين خوف شديد على مصير «ايف » .. فالبلدة التى تعيش فيها «ايف هوايت » وتعمل لم تعد بالبلدة الصغيرة كما كانت الحال منذ عهد قريب ، فقد كبرت مع الايام بسرعة ، وساعد على اتساعها قيام معسكر الجيش على اطرافها ، وكان من اثر ذلك ان امتلأت شوارع البلدة كل مساء بالجنود الذين يخرجون بالليل لقضاء أوقات راحتهم ، ويلجئون عادة الى حيث تقوم بيوت اللهو التى يقصدونها ..

وبوجود هذا المعسكر على مقربة من البلدة وخروج الجنود بالمئات في الشوارع كل ليلة تحولت البلدة الى احياء تكتظ بالحانات والمراقص ومسارح العرايا وأوكار الدعارة والمقامرين .. وكانت الصحف تطلع على الناس تباعا بأخبار الجرائم البشعة التى ترتكب فى أحضان هذه المواخير وتذهب ضحيتها فتيات بائسات اجترأن على الخروج وحدهن طلبا للتسلية أو المتعة .

ولم يكن من خطر على «ايف هوايت» المنكسرة الخجول التى لاتلفت الأنظار بشكلها الأقل من العادي ، وثيابها العتيقة

المتقشفة ، فامرأة مثلها تستطيع ان تسير أياما بين الجماهير ولا من عين تنظر اليها ..

انما كان الخطر كل الخطر على « ايف بلاك » اللعوب المرحة .. الجميلة الخليعة .. الأنيقة الضاحكة الطروب .. فالثياب التى تلبسها وان كانت رخيصة لكنها غاية فى الأناقة والاثارة .. والزينة التي تتزينها تظهرها فى أبهى صورة من الجمال .. وشعرها الأسود المصقول يكاد يخطف الأبصار بلمعانه وهو ينسدل على كتفيها .. وعيناها الزرقاوان الواسعتان تفيض منهما أضواء السحر .. وشفتاها المستديرتان تطلقان نداء للجنس لايمكن ان تخطئه اذن سكران أو صائد للمتعة .

وكان الطبيبان فى قلق دائم على هذه المرأة وما قد يتربص بها فى حارات أحياء المتعة وأزقتها التى ترتادها غير مبالية بالنتائج أثناء حالات خروجها الى المجتمع .. لكن الامر الوحيد الذى كان يهدىء من روعهما أحيانا ما يثبت لهما بوضوح بعد خبرة وقت طويل أن هذه اللعوب المغامرة تعرف كيف تهرب من الأخطار فى الوقت المناسب ، وتتقن التخلص من الورطات التى توقع نفسها فيها ومع الرجال الذين تلتقطهم من أحياء اللهو ودور المتعة والتسلية .. والعجيب انها لم ترتكب غلطة واحدة تمس عفتها مما يدل على انها حين تخرج لا تفعل ذلك طلبا للذة الجسدية ، انما سعيا وراء المغامرات التى تثيرها بالحماسة .. والتى تسكرها بالنصر حين تنجح فى الهروب من التورط فيها ، وتطرب مثلما يطرب الطفل حين ينجح فى القفز فوق قناة صغيرة دون ان يسقط ويغرق فيها .

فمن المؤكد ان « ايف بلاك » لم تكن فاسدة ، ولا ذات ميول جنسية شاذة ، بل كانت طفلة شقية عفرية تتعلق بالمغامرة وتحب المشاكسة ، وتطرب بالانتصار فيها ، ولاتريد بعد ذلك شيئا اخر على الاطلاق ..

لكن هذه الصفات الطيبة المنبت ليست كافية لأن تضمن لها دائما السلامة التى حالفتها منذ بداية خروجها الى الآن فالشطار مثلها ليسوا بمنأى من السقوط المدمر فى يوم من الايام ..

ووجد الطبيبان انهما بوصولهما الى هذه المرحلة من مرض « ايف هوايت » وعجزهما عن حل مشكلتها اصبح لزاما عليهما ان يكتبا تقريرهما مفصلا ليتقدما به الى « مجلة الأمراض النفسية الشاذة » التى يحررها اطباء قسم الأمراض النفسية والعصبية التابع لكلية طب جامعة جورجيا .

وعندما تقدم الطبيبان بهذا التقرير أحدث ضجة شديدة فى هذا الوسط العلمى .. ولشدة غرابته وبعده عن المألوف الطبى ، رفض أعضاء مجلس الادارة نشره قبل أن يقره رجال العلم الموثوق بهم .. وطلبوا ان تعرض الحالة اولا على لجنة موسعة من قسم العلاج النفسى مصحوبة بجميع الوثائق الصوتية والمرئية التى سجلت طوال فترة العلاج ، وان يسمح لهم بمناقشة المريضة فى شخصيتيها المختلفتين ، وان يوجها اليها اى اسئلة تتراءى لهم .. ولقد تم كل هذا ، ثم تبعه اجراء اختبارات نفسية واختبارات للذكاء والقدرات الخاصة ، وتحليلات للدم وصور للاشعة .. وقد قام بهذا الجانب الاخير مختصون ومحللون أخفيت عنهم الحقيقة ، وقدمت لكل فريق

منهم المريضة فى شخصيتها الأولى ، ثم قدمت للفريق الآخر فى شخصيتها الثانية ، وقد اتخذت كل هذه الاحتياطات منعا للمؤثرات التى قد تحدثها فيهم هذه الحالة الأولى من نوعها فى العالم ..

وكان مجمل التقرير الاول الذى وضع عن « ايف هوايت » : انها شخصية سمحة تميل الى العزلة ، ومبادئها الدينية والاخلاقية تكاد ترتفع الى مستوى القديسين ... وان وجهها ونظراتها وتعبيراتها توحى بأنها انسانة تطوى جوانحها على احزان بالغة .. وصوتها الخفيض ينم عن وقوعه تحت سيطرة ضبط النفس النسائى المهذب .. ملابسها دائما غاية فى البساطة والتقشف .. وأبرز ظاهرة فيها النظافة وحسن الصنع .. وحركاتها دائما متزنة وتصرفاتها وقورة ومظهرها عموما يوحى بالاحترام .. انسانة حلوة المعشر . كل من عرفوها ابدوا احترامهم لها .. فهى لاتضايق أحدا ، ولا تلجأ مطلقا الى أساليب الغيظ والمشاكسة .. شخصيتها سلبية أكثر منها ايجابية ، وتنقصها الشجاعة على مواجهة المواقف الصعبة ، مسلوبة الارادة لاتعرف كيف ترد العدوان اذا وقع عليها .. لاتحب ان تفتقد احدا ، وتفضل المشاكل التى تتعس حياتها .. ليس فيها قدرة على النفاق اورغبة فى التصنع فى جميع معاملاتها .. محتشمة ولاتحب المزاح مع الآخرين .. تنقصها الحيوية فى حركاتها وافعالها .. تحب ابنتها بجنون ، وتتفانى فى عملها الشاق ، ومستعدة لأن تحتمل مافوق طاقتها من التضحيات حتى بالطعام الضرورى لتدخر مايكفى لأن تعول ابنتها .. يغلبها القلق على مصيرها ومصير علاقتها بابنتها ، ولقد سلبها هذا القلق ثقتها بنفسها وجعلها امرأة مغلوبة على

امرها ، واثقة بان النوائب لن تفارقها حتى تقضى عليها . صحتها عموما ضعيفة ، وضغط الدم يميل بشدة الى الانخفاض ، وهى لا تعانى من اى نوع من الحساسية عندما ترتدى الجوارب أو الملابس النيلون ..

اما « ايف بلاك » فكان مجمل التقرير الذى كتب عنها كالآتى : « فتاة صخب وهرج وضجة .. تميل الى التصرفات الصبيانية .. مغرورة .. انانية لا يهمها سوى نفسها .. وجهها ينطق بالعفرتة وحب المشاكسة .. عيناها تلمعان بالخبث .. تعبيراتها في تغير مستمر ولاتهدأ على حال واحد .. مجنونة باللهو وارتياد المسارح والحانات .. طبعها يدل على انها لا تعرف الهم اوالحزن او القلق ، ولم تمارس شيئا من هذا فى حياتها .. لاتتورع عن الكذب والخداع لتضلل غيرها .. صوتها عميق متهدج ورنته تنطلق بالاغراء .. لغتها سوقية ، وعباراتها بذيئة ، ومعلوماتها بالامور الجدية تكاد تكون معدومة .. جميلة ولكنها خليعة انما بغرض لفت الانظار اليها والحصول على اعجاب الرجال .. احب شىء اليها المغامرات مهما كانت خطيرة ، وطريقتها فى البحث عنها تنطق بالهوس والطيش وانعدام روح المسئولية .. لايهمها ان تؤدى تصرفاتها الى ايذاء الاخرين الا انها لا تؤمن بمبادىء الاخلاق والانسانية .. صلاتها بالناس عابرة قصيرة الاجل ، تقبل على الصداقات بحرارة لكن ما ان تمر فترة وجيزة حتى تفقد اهتمامها بهذه الصداقات ، وتنتهى الى لا شىء .. مندفعة فى تفكيرها وافعالها ، كل مايطرأ على ذهنها الطائش تنفذه فورا دون تقدير للعواقب .. يمكن ان تكون فى لحظة من اللحظات مسلية جدا ، وفى اللحظة التالية تنقلب الى العكس وتصبح بغيضة

جدا .. لاتسمح لأمر من الامور ان يضايقها ، ولا تحمل هما او حزنا مهما كانت الأسباب الداعية لذلك .. اكدت التجارب العلمية التى اجريت عليها انها قوية البنية .. سليمة من الامراض العضوية .. ضغط الدم يميل الى الارتفاع .. تعانى من حساسية الملابس النايلون ، فما ان ترتدى شيئا منها الا وينتشر الطفح الأحمر على جلدها كله » ..

ومن هذين التقريرين تستطيع ان تتصور مدى الاختلاف الجذرى فى الشخصيتين .. « ايف بلاك » و « ايف هوايت » ، وكيف كان وقع هذه الحالة الاولى من نوعها فى ازدواج الشخصية على علماء النفس الذين سبق ان قرأوا فى المراجع الطبية عن هذا المرض الذى كان الناس فى قديم الزمن يخطئون تشخيصه فيسمونه «لمسة الشيطان» ، ولكنهم لم يسبق لهم ولا لزملائهم من العلماء الانجليز والاوربيين ان رأوا منه حالة واحدة تثبت لهم صحة وجوده .. وتمنحهم الفرصة لتطبيق النظريات على الطبيعة .

وبالرغم من التكتم الشديد الذى احاطت به « جمعية الأمراض النفسية الشاذة ، التابعة لقسم الامراض النفسية والعصبية بجامعة جورجيا هذه الحالة .. فقد تسربت الأخبار الى الصحافة ووسائل الاعلام الأخرى ، فطلعت الجرائد والاذاعات على الناس بأحاديث مستفيضة عن إزدواج شخصية « ايف هوايت » ولكن اسمها وحقيقة شخصيتها بقيا سرا خافيا عن الجميع ، ولم يتمكن أحد غير الطبيبين اللذين كانا يعالجانها خلال السنوات الأخيرة من معرفة حقيقتها .

ولقد سعدت « ايف بلاك » كثيرا بالضجة التى اثيرت

حولها فى الصحف والاذاعات ، وأخذت تكثر من الخروج وارتياد الحانات والملاهى الليلية لتسمع مايقوله الناس فى هذا الموضوع ، ولم تكن تتورع عن التلميح لاصدقائها الرجال بانها الشخصية التى تثير اهتمام الرأى العام .. ورغبة فى اخفاء حقيقة وجودها وهى أنها الشخصية الأخرى الشريرة لامرأة مريضة ممزقة النفس ، كانت تكذب عليهم وتزعم لهم أن كلام الصحف مجرد واجهة مضللة يرادُ بها اخفاء حقيقة سياسية خطيرة ، وهى انها تطوعت لتتخفى فى شكل امرأة مغامرة كى يتاح لها التحرك بحرية عساها تصل الى سر يتهدد الامن الوطنى .. وأحيانا تلمح الى انها شخصية على مستوى عظيم ومركز نبيل .. وظروفها الارستقراطية المتزمتة تحرمها من المتعة ، وتلزمها بالظهور فى شكل وقور ، لذلك تتخفى لتنطلق وتنال قسطها من الحرية مثل غيرها من الناس .. مرة تدعى انها ممثلة سينما مشهورة ، وأخرى انها شاعرة معروفة ، وثالثة انها عالمة على وشك الانتهاء من كشف علمى يقلب الدنيا بكاملها .. ولقد بلغ بها التهريف ان ادعت مرة انها مصارعة ثيران كبيرة ، وان بلدها أسبانيا أعطاها أعلى وسام للتفوق فى هذا المجال !!

ولقد حدث ذات يوم ان شعرت «ايف هوايت» بتوعك اثناء ساعات العمل ، فطلبت من رئيسها ان يسمح لها بالراحة بقية النهار .. ولكن بعد انصرافها بساعة واحدة دق جرس التليفون فى مكتب الرئيس ، وتحدثت اليه امرأة ذات صوت عميق أجش تزعم انها مندوبة جريدة « شيكاغو تريبيون » وسألته اذا كان بين عاملاته امرأة اسمها « ايف هوايت » ، وانها حضرت خصيصا من مدينة « شيكاغو » لمقابلتها واجراء حديث معها

بمناسبة انها صاحبة الشخصية المزدوجة التى تثير اهتمامات الرأى العام فى هذه الأيام .. وقلبت الحقائق فأوهمته ان ازدواج الشخصية الذى تعانى منه عاملته « ايف هوايت » ليس فى الحقيقة مرضا ، انما هو منحة من الله وموهبة نادرة لاينالها سوى الاخيار والسعداء .

ولكن الاسلوب الدافىء الذى كانت تتحدث به ، والالفاظ السوقية التى كانت تتكلم بها ، اقنعت الرجل بانها امرأة غير جادة تريد ان تضحك منه وتتسلى بتضليله فقطع المكالمة فورا ..

وتكرر من هذه الخبيثة مثل هذه المواقف ، وأصبحت «ايف هوايت» فى حرج شديد ، فاستقالت من العمل الذى كانت قد وجدت فيه السعادة والاستقرار .. وانصرفت هائمة على وجهها تبحث عن مصدر للرزق سواه .. ولقد اعترفت «ايف بلاك» للطبيب انها كثيرا ما كانت تتعمد الخروج اثناء قيام توأمها بالعمل .. وتحل محلها وتشتغل بمنتهى السوء وعدم الاتقان ، مما ادى مرارا الى ان رؤساء «ايف» الحقيقية الذين عهدوا فيها القدرة وحسن الاداء ، لجأوا الى تأنيبها بشدة عن التدهور الذى أصابها والذى لابد ان يؤدى الى فصلها اذا تكرر .

وسأل الطبيب «ايف بلاك» عما تجنيه من تدمير الاخرى بهذه الصورة فقالت فى غير حياء او تردد : لقد كدت اصاب بالجنون للمديح الذى تناله فى عملها واغتظت للمظهر المهذب المتواضع الذى تحتال به لتنال احترام الآخرين ، فقررت ان افسد عليها نبلها على سبيل النكاية ..

قال لها : ولكنك بعملك هذا تتسببين فى طردها من العمل ، فماذا تكون النتيجة ؟

قالت : لاتحمل لها هما .. ستجد عملا آخر .. انها قديرة على ذلك ، ثم لتفرض انها تعطلت نهائيا فهذه مشكلتها لامشكلتى انا .. مالى انا ومايصيبها ؟!

وكان قد مضى عام كامل على افتراق «ايف هوايت» عن زوجها «رالف» .. ولما كان هذا الموقف يسبب للرجل غاية الضيق والحيرة .. فقد قرر ان يسافر الى البلدة التى تعمل فيها امرأته ويحاول ان يتفاهم معها ، املا فى اصلاح ذات البين ، واقناعها بانها لم تحرز فى علاجها خلال هذه المدة تحسنا ملموسا ، ولقد تظل علي حالها لسنين قادمة ، فلماذا لاتترك عملها وتعود معه الى مدينة « جاكسون فيل » التى وفقه الله الى عمل طيب فيها ، حتى يلتئم شمل الاسرة من جديد وتستمتع « بونى » فى حضانتهما بحنان الأبوين الذى حرمته منذ ذهابها الى بيت جدتها ..

وبالفعل سافر «رالف» الى زوجته وحاول جهده ان يقنعها بوجهة نظره ، غير انها اصرت على الرفض بكل عناد ، وافهمته ان مسألة عودتها الىالحياة معا فى هذا الوقت تعد من المستحيلات .

ولم يقتنع « رالف » بهذا الرفض ، وعاد يرجوها ان تمنحه فرصة واحدة اخرى ، وهى ان تقضى معه عطلة نهاية الاسبوع لعلها تجد خلالها ان مشاعرها نحوه قد تحسنت ولو قليلا عن ذى قبل ، ولكنها اكتفت بان ظلت تهز رأسها مصرة على الرفض ، فثارت ثائرته ونشبت بينهما معركة حامية انتهت

بان هددها برفع الامر الى ساحة القضاء واثبات جنونها وللحصول على حق حضانة ابنته دونها ..

وكان هذا اكثر ما يرعب « ايف هوايت » فاصفر وجهها وتهالكت على المقعد منهارة ، وعندئذ تركها « رالف » غاضبا وانصرف الى غرفته بالفندق الذى ينزل به ..

ولعلاج احزانه الشديدة اعد لنفسه كاسا من الخمر وجلس وحده يحتسيها ، وبعد ساعة او ساعتين من التفكير فى محنته ، قرر ان يجمع حوائجه ، ويعود الى بلدته .. وفيما هو يعد حقيبته ، سمع طرقا على بابه ، ففتحه وهو حانق ، لكن حنقه تحول الى دهشة بالغة عندما رأى امامه زوجته التى تركها فى بداية المساء وهو فى غاية الحزن والمرارة ..

ولكنه بعد النظرة الاولى عاد وتردد لحظة ، وسأل نفسه · اهذه حقيقة «ايف» ؟!

كانت المرأة التى تقف امامه تحاول ان تكون «ايف هوايت» بكل ما تملك من قدرة على التقليد ، ولكنها رغم ذلك لم تستطع ان تخدعه ، فقد عرف فيها «ايف بلاك» وكاشفها بذلك لفوره .

قالت ضاحكة : ليكن ، فماذا يهمك ؟ انها ترفض قضاء نهاية الاسبوع معك ، ولكن ربما أقبل أنا .. أنها لاتحبك ، أما أنا فقد بدأت أميل إليك ، وأجدك جذابا للغاية ! ..

واقتربت منه وامسكت بيده ، فتملكته الدهشة لأن «ايف بلاك » التى تقف الآن أمامه كانت فيما مضى تكرهه الى أبعد حدود الكراهية ، ولاتتورع عن مكاشفته باحتقارها له ونفورها

منه ، بل وسخرت منه بأقسى الألفاظ ، وأشدها إيلاما لكبريائه .. ولقد عرفها دائما على هذه الصورة البغيضة القاسية ، ولم تعطه ولو مرة واحدة الفرصة ليرى الجانب الطيب منها .. ذلك الجانب الذى يبدو له الآن وهى تمسك بيده وتلتهب الدماء فى عروقه بنظراتها المثيرة ..

كانت تبدو فى تلك اللحظة فى اروع صور الأنوثة التى كان يتمنى لو راها فى زوجته خلال سنوات زواجهما ليكون هذا نتيجة للتحسن الصحى الذى أحرزته بالعلاج المستمر ؟ .. أتكون «إيف هوايت» بطبيعتها قد اندمجت تُ«ايف بلاك» بحرارتها وجاذبيتها ، وخرجت منهما معا المرأة القديرة على اسعاد حياته من الآن فصاعدا ؟!

وعندما اشترطت لقبول قضاء عطلة الاسبوع معه ان يثبت حسن نواياه لها بشراء ملابس جديدة فاخرة تتزين بها خلال الأيام السعيدة التى سيقضيانها معا ، اجاب طلبها بلا ادنى تردد وفى الصباح اشترى لها الثوب الذى تريده فسافرت برفقته الى بلدته وقضت ليلة معه ولكن ما ان طلع النهار الا وجمعت حوائجها واختفت ثانية من حياته .

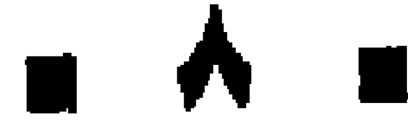
وبعد مضى أسبوع على هذه الواقعة كانت «ايف بلاك» تجلس فى العيادة النفسية امام طبيبها المفضل وروت له وهى ضاحكة كيف خدعت «رالف» وانكرت بشدة انه زوجها ، ومع ذلك اعترفت بقحة ان تجربتها الجنسية معه قد زادتها تأكدا من انه ليس بغيضا فى التعامل اليومى فقط ، بل منفرا ومثيرا للتقزز فى الفراش .

وحين انبها الطبيب على تهاونها فى المبادىء الاخلاقية قالت فى غير مبالاة : لقد حصلت على الثوب الجديد الذى اريده ، وغير ذلك لايهمنى على الاطلاق !!

وبعد أيام علمت «ايف هوايت» بما حدث بين زوجها وتوأمها ، فثأرت ثائرتها واعتبرتها منتهى الحطة من «رالف» أن ينتهز فرصة وجود الشخصية الأخرى وينال وطره منها .. ولقد نظرت الى هذه الواقعة بقسوة واعتبرتها خيانة زوجية ، وخافت ان يتكرر الحادث فى المستقبل ، فتخرج من هذه المصيبة بطفل اخر يضاعف قدرة زوجها على اذلالها اضعاف ما يفعل الآن فى وجود «بونى» وحدها ..

ولأول مرة فى حياتها قررت بحزم قاطع ان تطلب الطلاق من زوجها رغم جميع المشاعر الدينية والأسرية التى كانت تمنعها من قبل ..

وذهبت فورا الى أحد المحامين ، وعرض الأمر على «رالف» فوافق وقد ضاعت اماله فى امكان الصلح بعد ان خدعته «ايف بلاك» وأخذت الملابس ، ثم هربت بها الى غير رجعة ! ..



كان المفروض أن يتحسن حال « ايف هوايت » بعد أن زال ترددها وقررت أن تنفصل عن زوجها بالطلاق ، لكن الموقف تطور إلى أسوأ .. إذ عاد الصداع يعذب حياتها مرة أخرى ، وأشتدت حدته وتقاربت فتراته ، مما أدى إلى إزدياد نوبات غيبة الوعى أو فقدان الذاكرة ..

ولما كانت جلسات التحليل النفسى قد أثبتت أن أزمات الصداع وملابساتها كانت تحدث نتيجة للصراع الشديد بين محاولة « ايف بلاك » الخروج والمقاومة النفسية الشديدة التى تحاول بها المريضة أن تمنعها من ذلك .. غير أنه بمجرد أن عقدت الهدنة بين الشخصيتين ، وحصلت « ايف بلاك » على حرية الخروج وقتما تشاء ، انقطع الصداع بانقطاع الصراع الداخلى بين الاثنتين .

فلماذا يعود الآن بهذا العنف والشدة ؟

اتجهت الشبهات فى البداية الى « ايف بلاك » المتخصصة فى تعكير صفو حياة توأمها ، ولكنها انكرت بشدة هذه التهمة ، وأكدت الا صلة لها بها على الاطلاق ، بل وأبدت غاية دهشتها لهذه الحالة ، وتساءلت فى حيرة عن أسبابها ..

وفى هذه الفترة عثرت السيدة التى كانت تشارك « أيف هوايت » غرفة السكن على زميلتها ملقاة على الأرض وهى غائبة عن الوعى تماما ، وهو ما لم يسبق أن حدث من قبل ، فلقد كانت تصيبها حالات « فقدان ذاكرة » ولكن بدون اغماء .. والمصيبة أن الاغماء الكلى تكرر وأصبح يصيبها فى أوقات مختلفة من النهار ، مما جعل من العسير عليها أن تستمر فى عملها فاستقالت من وظيفتها ولازمتها نتيجة لتعطلها عن العمل رغم احتياجها الشديد للنقود حالة من الاكتئاب النفسى الشديد أفقدتها الثقة بامكان احراز الشفاء .. وبدأ يأسها يزداد وضوحا فى أثناء جلساتها النفسية ، وتضاعف تدهور صحتها العقلية والجسدية ، مما دفع بالطبيبين إلى العودة إلى فكرة إدخالها مرة أخرى إلى مستشفى للأمراض النفسية ، ولكنهما أخفيا عن المريضة هذه الفكرة خوفا عليها من أن تصاب بمضاعفات إذا هى علمت بالنهاية المفجعة التى تنتظرها .

والتغير الآخر الذى ظهر على المريضة فى تلك المرحلة أنها لأول مرة أخذت تستعيد بعض ذكريات الطفولة ، وهو ما لم يكن يحدث من قبل .. ومن خلال أحاديثها عن تلك الحقبة القديمة من حياتها ، أشارت إلى أثر حرق كبير فى جسدها أصابها نتيجة لسقوط مياه ساخنة عليها فى عهد طفولتها .. وعندما ذكرت المريضة هذه الحادثة ، فوجىء المحلل النفسى الجالس معها بها وهى تسبل عينيها بالتدريج حتى أقفلتهما تماما كأنها راحت فى نوم عميق .. وظلت كذلك نحو دقيقتين ، ثم فتحت عينيها مرة أخرى ، وفى حيرة ودهشة نظرت حولها

تتفقد الغرفة كما لو كانت تراها للمرة الأولى .. وأخيرا التقت عيناها بعيني الطبيب ، وتوقفت نظراتها عليه فترة ، ثم قالت ببطء ولكن بصوت قوى ذى شخصية ووقار : من أنت ؟!

ورأى الطبيب بوضوح أن هذه المرأة التي تجلس أمامه ليست « ايف هوايت » ولا هى أيضا « ايف بلاك » فالخصائص التى تميزها كانت تختلف تماما عن خصائص المرأتين ، تلك الخصائص التى حفظها الطبيبان عن ظهر قلب .. وكل مايمكن أن يقال انها في منتصف الطريق بين الاثنتين الأخريين ، فهي أكثر حكمة وتعقلا واتزانا من « ايف بلاك » ، وهى فى الوقت ذاته أكثر حيوية وقدرة وشجاعة وجاذبية من « ايف هوايت » .. ولم يكن من العسير رؤية الفوارق التي تميزها عن كل واحدة منهما فهى ليست ذليلة ومغلوبة على أمرها مثل « ايف » الطيبة ، كما أنها تبدو أيضا بالمقارنة إلى « ايف » الشيطانة أكثر وقارا وثقافة وتحضرا وقدرة على ضبط النفس .

وسألها الطبيب عن اسمها ، فقالت فى حيرة واضحة : لست أدرى :

قال : ولكن يجب أن تعطينا اسما نناديك به !

قالت : جميع الاسماء عندى سواء ، ومادمت تصر فاسم « جين » لا بأس به إذا لم يكن لديك مانع ..

قال : ليس لدى أى مانع يا« جين » .

ولشهور عدة أخذ الطبيبان يتناوبان الجلوس مع الشخصيات الثلاث لمريضتهما . ولقد ثبت من خلال

الجلسات المتتالية أن « جين » على بينة تامة بكل ماتفكر فيه « ايف هوايت » وتفعله ، ولكنها لاتعرف شيئا مطلقا عما يجول بذهن « ايف بلاك » كأن الصلة بينهما منقطعة تماما .

وفى البداية كانت « جين » تشعر بالاستقلال التام عن « ايف هوايت » وكافة مسئولياتها ، ولاتربط نفسها بالزوجة والأم .. ولكنها اثبتت منذ ظهورها قدرة فائقة على اعطاء الحب والعاطفة والاخلاص ، وأبدت استعدادها للتعاون فى هذه المجالات النبيلة .. ولم يمض وقت طويل حتى أحست باحتياج « ايف هوايت » إلى مساعدتها ، فكانت تحل محلها وقت الأزمات ، وتنقذها من المأزق التى تدفعها اليها « ايف » الأخرى .. وأخذت مشاعرها نحو « بونى » الصغيرة تثرى بعطف المرأة الحنون على طفلة ليست من أسرتها ، ولكنها محرومة من الحب والمودة ..

وازدادت « جين » بمرور الايام قوة ، لكنها لم تصل إلى المرتبة التى تمكنها من أن تقضى على « ايف بلاك » قضاء مبرما أو تندمج مع « ايف هوايت » اندماجا كاملا .. غير أن الدراسة النفسية الدقيقة اثبتت أن « جين » هى الوحيدة بين الشخصيات الثلاث التى فى مقدورها أن تحل عقدة المرض النفسى الذى يعذب حياة « ايف هوايت » وأنها لو استطاعت أن تسيطر على شخصيتها ، فالشفاء التام يصبح ميسورا ، وتعود حياة المريضة إلى مستوى أفضل بكثير مما كانت عليه طول عمرها ..

ومعنى ذلك أن الحل الوحيد لهذه المشكلة المعقدة هو أن

تنتصر « جين » على الشخصيتين الآخريين ، وتصبح هي الشخصية الوحيدة الباقية « لايف » مدى الحياة .. وإذا شاءت ارادة الله أن يتم هذا الحل ، تكون « جين » هي القادرة على القيام بالاعمال الشاقة . وكسب الدخل المحترم ، الذى يمكنها من إعالة « بونى » الصغيرة .. بل تكون الانسانة السليمة التى تستطيع أن تسترد حضانة ابنتها التى مازالت إلى اليوم فى اعتبار المفقودة نظرا لمرض أمها . ومايعرضها له هذا المرض من أخطار جسيمة .

وظلت « جين » تزداد قوة وتأثيرا ، ويمضى الوقت اصبحت لديها القدرة على أن تشرح أحداث طفولة « ايف » التى لم تتمكن هى من شرحها ، رغم جميع محاولات الطبيبين النفسيين فى دفعها إلى تذكرها ..

وأبدت « جين » منتهى الحكمة فى تقييمها للاثنتين الآخريين .

« فايف هوايت » فى نظرها امرأة ذات صفات انسانية ممتازة ، وهى أم حنون لدرجة قد تدفعها إلى قتل نفسها إذا تأكد لها أنها فقدت ابنتها الصغيرة عاطفيا إلى الأبد بسبب الفترة الطويلة التى تقضيها مع جديها بعيدا عن أمها .

ومن باب التدليل على أمومة « ايف » القوية قصت « جين » للطبيب ماحدث فى اليوم السابق حين رأت « ايف هوايت » وهى فى طريقها إلى بيتها سيدة تقف أمام أحد المتاجر وطفلتها الصغيرة بين ذراعيها ، لاتدرى كيف تدخل بها المتجر لانها لاتستطيع أن تتسوق حاجاتها وهى تحملها

بين ذراعيها .. فتقدمت منها « ايف » بدافع من انسانيتها المعهودة ، وتطوعت أن تحمل لها طفلتها وتنتظرها بها خارج المتجر إلى حين انتهائها من مهمتها .. وفرحت الأم بهذا العرض الكريم وأعطتها الطفلة ، واختفت داخل المتجر ، ولكن ما أن طوقت « ايف » هذه الصغيرة بذراعيها حتى تصورت انها « بوني » فشددت قبضتها عليها ، وراحت تجرى بها بعيدا لتخفيها فى بيتها .

واعترفت « جين » انها قدرت خطورة هذا العمل على « ايف » فالأمر سيصل حتما الى الشرطة ، ولسوف ينتهى الموقف بالقبض عليها ومحاكمتها بتهمة خطف الطفلة ، وهى جريمة لها عقوبتها المشددة فى قانون الولايات المتحدة .. عندئذ قررت أن تنقذ المريضة من المأزق الذى وضعت نفسها فيه ، فخرجت ، وعادت بالطفلة إلى المتجر ، ولما لم تجد الأم سلمتها رسميا إلى مركز الشرطة القريب .

ولقد دللت « جين » بهذا الحادث على أمومة « ايف » الفاضلة ، وما قد يحدث لها من مصائب كبيرة إذا هى حرمت نهائيا من ابنتها ، أو أحست أن هذه الأبنة لطول بعدها عنها قد فقدت القدرة على حبها والاحتياج إليها .

وكانت « جين » فى الوقت ذاته رقيقة فى حكمها على « ايف بلاك » فبعد أن تابعتها مرارا ، قالت ذات يوم للطبيب : اتعلم يادكتور أن هذه الفتاة تملك مواهب معينة ؟ .. ففى كل مكان ترتاده تتفوق على من حولها من النساء الآخريات بقدرتها الفائقة على اسعاد الناس وادخال البهجة على

نفوسهم .. خفيفة الروح ، سريعة الخاطر ، مسلية .. صوتها أبعد مايكون عن الجمال ، ومع ذلك فبمجرد أن تغنى يهلل الناس ويصفقون فى حماسة بالغة ، ويستزيدونها مرارا وتكرارا كأنها أعظم مطربة فى الدنيا ، وهى كفاءة نادرة .. صدقنى يادكتور ، أن هذه الفتاة ليست فى حقيقتها شريرة ، انما هى طفلة عفريتة ، شقية تتسلى بالالاعيب التى تحيط بها الاخرين .

وكانت « ايف هوايت » الى هذه المرحلة تجهل تماما بوجود « جين » ، ولكن الطبيبين قررا أن يعرفاها بها بعد ان اقتنعا تماما برجاحة عقل هذه الشخصية الثالثة ، وحسن تقديرها للأمور .. وبدأ الطبيبان فى طرق الموضوع بوصف كامل لجين لا تنقصه الدقة لكى تشعر المريضة كأنها تقف امامها وتراها بعينيها وقبل أن تزول آخر معالم الدهشة عن وجه « ايف هوايت » لهذه المعلومات الجديدة عن شخصيتها الثالثة ، وقبل أن تنطق بكلمة واحدة ، ماتت الابتسامة على وجهها ، وانقلبت سحنتها ، ثم ظهرت فجأة « ايف بلاك » وهى فى غضب عارم ..

وقفزت من فوق المقعد ، وراحت تطوف بأرجاء الغرفة فى خطوات مضطربة سريعة كأنها اصيبت بمس من الجنون .

قالت للطبيب : بحق الشيطان ماذا تفعل ؟ ومن هذه الدخيلة المتشابهة الجديدة التى تريد أن تقحمها على حياتنا ؟

قال : انها ليست من صنعى ولا انا اقحمتها عليكما ؟

قالت : بل أنت تكذب أيها الماكر ، وهذا جزائى على سابق ثقتى بك ، لقد اطمأننت اليك أكثر مما يجب ، ولو كنت أكثر حكمة لشككت فيما تدخره لى من مكائد .. أنت تريد أن تقضى على ، وأنا أفهم تماما نواياك الخبيثة ، فاللعنة عليك وعليها وعلى كل ما تتظاهر به مريضتكم الغبية الحمقاء من طيبة وملائكية .

ويصقت على الأرض إمعانا فى الاهانة ..

واختار الطبيب أن يلزم الصمت حتى تهدأ ، مطمئنا إلى ان « ايف بلاك » لا تستطيع التركيز طويلا على جملة واحدة فهى دائمة التنقل بين الانفعال والهدوء ، والسرور والغضب ، ولن يطول الوقت حتى تعود الى سابق مرحها .

ولقد صدقت توقعاته ، فبعد قليل لم يلبث غضبها ان هدأ بذات السرعة التى جاء بها .

وعادت الى المقعد وجلست على يده وقالت فى نبرات هادئة : من هى هذه « الجين » ايها العزيز ؟ وما قصتها ؟ من حقى أن أعرف ومن واجبك أن تصدقنى القول ..

ورغم الهدوء الذى تظاهرت به كان واضحا انها غير راضية عن تطور الموضوع بهذا الشكل ، فلقد كانت سعيدة بكونها الوحيدة التى تشارك « ايف هوايت » جسدها ، وهى بهذه الصفة قادرة على أن تفعل بها ماتشاء دون تدخل أو رقابة من أحد .. خصوصا انها وجدت فى « ايف هوايت » الغريمة الضعيفة المغلوبة على أمرها ، مما يسهل عليها مهمة قهرها والتنكيل بها .

وشرح لها الطبيب الحقيقة بكاملها ، وافهمها عدم جدوى معارضتها ، فمثلما فرضت هى على « ايف هوايت » رغم ارادة المريضة المسكينة ، فقد جاءت « جين » بدورها رغم ارادة الاثنتين . وانه ليس من مصلحتها أن تتصدى لها لان « جين » أقوى مما تظن كثيرا ، وليس من السهل قهرها ، او التلاعب بها ..

وأبدت « ايف بلاك » عدم مبالاتها ..
وتقبلت الوضع صامتة هادئة .
ثم مضى عام كامل والشخصيات الثلاث تتقمص جسد المريضة .

ولكن العجيب فى الوضع الجديد أن وجد الطبيبان من السهل عليهما استحضار « جين » فى وجود « ايف هوايت » فى حين انه لم يكن من الميسور على الاطلاق استحضارها من « ايف بلاك » مما يدل على انقطاع الصلة بينهما تماما ..

• وكانت مجلة « دوجاس جورنال كلوب » التى يقوم بتحريرها نحو أربعين من أشهر الأطباء البشريين والنفسيين ، وعلماء الاجتماع والصيادلة قد بلغها أمر الدهشة البالغة التى أصابت أفراد أسرة « مجلة الأمراض النفسية الشاذة » حين طرح الطبيبان « تيجين » و« كليكلى » عليهم حالة ازدواج الشخصية التى تعانى منها مريضتهما .. فلما انتشر فى الاوساط الطبية نبأ الشخصية الثالثة ، وبعث أعضاء هذه المجموعة من العلماء يلحون فى ضرورة عرضها عليهم

ليستفيدوا بهذه الحالة الفريدة في نوعها فى ممارسة مهنتهم المختلفة ..

ولما لم يكن الطبيبان قد توصلا بعد الى علاج هذه الحالة المعقدة ، بل ولم يتمكنا حتى من معرفة الاسباب التى أدت اليها ، لذلك رحبا بهذا الطلب لعلهما يصلان من خلاله إلى معونة علمية تتيح لهما الوصول إلى نتائج حاسمة ..

وكان من الضرورى استئذان الشخصيات الثلاث حتى لاتفسد احداهن الموقف بتخلفها ، فكان من حسن الحظ أن قبلن بلا أدنى معارضة .

وتم اللقاء بين المريضة ومجموعة الأطباء والعلماء القائمين على تحرير مجلة « دوجاس جورنال كلوب » ، وقدمت للحاضرين « ايف هوايت » اولا ، فروت لهم تاريخ مرضها ، وسردت عليهم الأعراض التى كانت تشعر بها ، ثم اجابت عن جميع الاسئلة التى وجهت اليها ..

وجاءت من بعدها « ايف بلاك » بكل ماعرفت به من شطط وخلاعة ورغبة فى المعاكسة ، فلم يستطع العلماء أن يحصلوا منها على أى معلومات جادة أو ذات قيمة .

وأخيرا ظهرت لهم « جين » بعقلها ورزانتها ، بل وحسن قدرتها على تفسير المواقف تفسيرا منطقيا مقبولا ، وكانت باجاباتها عن اسئلتهم غاية فى الحكمة والافادة .

واستغرقت الجلسة ساعتين كاملتين ، ثم خرج العلماء وهم

يضربون كفا على كف ، ويتساءلون عما إذا كان مارأوه حقيقة ، أو هو تضليل من ممثلة ماهرة أوتيت من القدرة ماهو فوق مستوى البشر على التغير والتبدل وتقمص الشخصيات المتناقضة تماما ..

ولكن تساؤلهم هذا لم يلبث أن انتهى تماما عندما أتموا الفحوص والتحاليل التى أجروها للمريضة فى حالاتها الثلاث فتأكد الاختلاف البيولوجى الذى يصيبها مع كل شخصية على حدة .

وبعد هذه المقابلة بوقت قصير ، وقع حادث كان له تأثير كبير على مجريات أمور المريضة ، فقد استطاع محامى « ايف هوايت » أن يحصل على حكم نهائى بالطلاق من « رالف » وساعد على اصدار هذا الحكم ان « رالف » نفسه كان قد يئس تماما من امكان التفاهم مع زوجته بعد ان تأكد له ان نفورها منه عميق الجذور ، وغير قابل للعلاج ، وانه بتجربته مع « ايف بلاك » حين قبلت أن تقضى معه عطلة الاسبوع مقابل فستان أحمر جديد ، ثم ما أن حصلت عليه حتى هربت منه منددة بقواه الجنسية وما أثارته فى نفسها من تقزز واشمئزاز ، بعد كل هذا تأكد له ألا أمل مطلقا فى التئام شمل الاسرة مع اى شخصية من الشخصيتين اللتين تتنازعان جسد زوجته .. لذلك رحب بفكرة الطلاق بعد أن كان يعارض فيها من قبل ، راضيا ان تنتهى محنته بالانفصال النهائى عن زوجته الذى قد يتيح له فرصة بداية تجربة جديدة لعلها تكون اكثر توفيقا من سابقتيها .

وبفضل اتفاق الزوجين على الانفصال النهائى لم تعد عقبة تقف فى طريق الطلاق من الناحية القانونية ، فأصدرت المحكمة حكمها به دون ان تتعرض لحضانة « بونى » ، تاركة مصيرها للاتفاق الودى بين الطرفين ، فتعيش الصغيرة مع جدتها لامها بشرط أن تتولى « ايف هوايت » مسئولية الانفاق عليها ، ولقد تمسكت « ايف هوايت » بهذا الشرط الاخير ، ولم تقبل ان يساهم طليقها « رالف » بأى مبلغ فى اعالة البنت باعتبار ان « ايف » نفسها هى التى تسببت فى هذا الموقف بمرضها .

وفرحت « ايف هوايت » بانقطاع الصلة بينها وبين الرجل الذى افقدها بطول جفائه القدرة على حبه ، بل القدرة على احتمال الوجود معه تحت سقف واحد .. وزال قلقها الشديد على احتمال حرمانها حضانة ابنتها التى كانت بالنسبة لها كل شىء فى الحياة ..

وهللت « ايف بلاك » طربا بزوال « الحمار » من طريقها ، وطريق توأمها الغبية التى كان ينبغى عليها ان تتخذ هذا القرار من البداية لكى تجنب نفسها ماقاساته من عذاب طويل بسبب معتقداتها الدينية « السخيفة » على حد تعبيرها ، وقالت للطبيب فى احدى جلساتها معه لو كانت هذه الغبية على ذرة من العقل لتخلصت من هذا الجلف منذ سنوات .

اما « جين » فقد تقبلت الأمر بالترحيب من أجل تحقيق الراحة النفسية لتوأمها المفضلة ، ووعدت أن تقف مع « ايف

هوايت » وأن تساعدها بكل ما تملك من جهد على العمل لاكتساب مايكفيها ويفى ايضا باحتياجات « بونى » الصغيرة .

وبهدوء العاصفة بدأ التغيير يحدث فى أحوال « ايف هوايت » ..

٩

بعد شهور قليلة من صدور حكم الطلاق بدأت التغييرات تظهر على « ايف هوايت » فقد ازدادت « جين » قوة على الوقوف بجانبها ومعونتها على اتقان أعمالها للاحتفاظ بوظيفتها ، بل وعلى تقوية صلاتها بالناس من خلالها هي باعتبارها النائبة عنها أو الممثلة لها .

ومن ذلك ما حدث ذات ليلة حين خرجت « ايف بلاك » بثوبها الأحمر الخليع لتقضى السهرة في الرقص والمجون .

وفيما هي واقفة بأحد المنتديات الليلية تراقب الرائحين والغادين ، تقدم منها رجل وسيم انيق يبدو عليه الوقار والتهذيب ، وسألها بمنتهى الأدب ، عما اذا كانت تسمح له بمراقصتها .

ولما كانت « ايف بلاك » تكره هذا النوع من الرجال ، وتفضل عليه السوقة .. فقد بدأ على وجهها الملل وقالت له وهي تشير إلى سيدة من رفيقات سهراتها :

ـ هذه زميلتي فارقص معها ، لانني لا أعرف الرقص .
أجاب بصوت هادىء عميق : ولكني أرغب في الرقص معك

أنت لا مع صديقتك .. ولايهمنى إذا كنت تتقنين الرقص أو لاتتقنينه ..

وبمنتهى الملل تقدمت اليه وفي نيتها أن تسخر منه وتحقره لكي تتخلص من صحبته ، ولكن الذى حدث كان أمرا عجيبا فقد ظهرت ، « جين » فجأة ، وابتسمت فى وجه الرجل بمنتهى الرقة والأدب ، وسارت معه الى حلبة الرقص لترقص لأول مرة في حياتها .. وظلت طول المساء تصغى الى حديثه المهذب الشيق وهى فى غاية السعادة ..

وكان ذلك أول لقاء لها بالشاب « برت لانكستر » الذى شاء القدر أن يضعه فى طريق المريضة لكى يبدد وحدتها ويضىء حياتها بالسعادة بعد أن ظلت من بدايتها تعسة معذبة .

وفى احدى جلسات التحليل النفسى .. قصت « جين » على الطبيب قصة لقائها بالشاب المسمى « برت لانكستر » .. والعلاقة التى نمت بينهما بعده .

قالت له : ووقفت معه فى تلك الليلة أصغى لحديثه الرقيق المهذب عن مقاطعة كنتاكي موطنه الأصلى ومسقط رأسه .. وتأملت وجهه فرأيت فيه ما جعلنى أحس بالرضا التام لأول مرة فى حياتى .. ففى سمات هذا الرجل الوسيم الرقيق رأيت تباشير الحب والهناءة تنبعث بين طيات الاحداث المعقدة التى سيطرت علىّ الى ماقبل تلك اللحظة التاريخية .. وتذكرت ما كنت تؤكده لى و« ايف هوايت » من أنه سيأتى اليوم الذى نرى الدنيا من حولنا من زاوية مختلفة تماما .. وكيف سنشعر عندئذ بالاحتياج الى الحب والزواج الأطفال ، لاننا نختزن بين

جوانحنا قدرا هائلا من المشاعر الجميلة .. ولقد تحقق كل هذا بتوثيق صلتى بهذا الصديق الجديد « برت لانكستر » ، وبلغ بى الاطمئنان اليه والثقة به أن صارحته بحقيقة المرض الذى نعانيه ، ولقد أردت بذلك أن أسبق غيرى فى اطلاعه على سر حياتنا ، قبل أن يعرف به من أحد آخر . فيحتقرنى لاخفاء الحقيقة عنه .. ثم انه لم يكن من العدل أن اخفى عنه كونى احدى الشخصيات الثلاث التى تسكن جسم امرأة واحدة ، وانه لا يصح مطلقا أن أتزوج قبل أن أشفى تماما حتى لايضيع اولادى مستقبلا بين أمهم وشبيهاتها .

قال الطبيب : وكيف كان وقع كلامك عليه ؟

قالت : استمع إلى بكل هدوء ، ولما سألته عما يشعر به بعد أن عرف بمرضنا ، أكد لى أنه مازال على حبه العظيم ، بل ربما أكثر !! ومن هذه الاجابة تستطيع يادكتور معرفة قيمة « برت» وفهم حقيقة أخلاقه !

قال الطبيب : وهل ناقشتما مستقبلكما معا ؟

قالت : أجل ، وكنت صادقة معه فطلبت منه الا يعدنى بشىء حتى نعرف النتيجة .. فمن المحتمل جدا ان ينتهى العلاج بفوز « ايف هوايت » أو « ايف بلاك » واختفى انا تماما من الوجود ، لكنه ابدى استعداده للانتظار إلى النهاية .. فهل ترانى يادكتور مخطئة فى رغبتى فى أن أحب ؟ لقد تعرضت علاقتى مع « برت » لهزات عنيفة بسبب تدخل الشخصيتين الاخريين ، لكن هذه الهزات لم تفلح فى الوقوف بين قلبينا !

ورغم جميع هذه البشائر الطيبة بقى الطبيبان على شكهما السابق فى امكان علاج « ايف هوايت » ، نظرا الى انهما لم يستطيعا طوال الوقت الذى مر منذ بداية مجيئهما الى العيادة النفسية لأول مرة ، ان يصلا الى الاسباب الحقيقية التى أدت إلى تمزق نفسيتها وتعدد شخصيتها .. ولم يكن من شك فى ان هذه الأسباب تكمن فى طفولتها ، ومع ذلك فقد عجز التنويم المغناطيسى والتحليل النفسى وجميع الوسائل العلمية عن أن تدفع بالمريضة الى ان تستعيد ذكرى تفاصيل ايام صغرها .. فلقد كانت تلك التفاصيل ممحوة تماما من ذاكرتها ، وكلما سئلت عنها اخذت تردد المرة بعد الاخرى انها استمتعت بطفولة سعيدة ، وان والديها كانا مثلا لاييارى فى حبهما لها وحنانهما الموجه اليها . اما كيف كان الحب والحنان ، وما هى الشواهد عليهما ، فقد عجزت المريضة تماما عن الشرح والتوضيح .

ولم يشأ الطبيبان أن يستسلما لليأس رغم تعقد الأمور امامهما ، وصمما على الاستمرار فى نبش ذكريات ماضى « ايف هوايت » لعلهما بالمثابرة يصلان الى أسرار طفولتها .. ولقد بدأت هذه الأسرار تنكشف ببطء وتدرج بعد زيارة قامت بها المريضة لابنتها « بونى » حيث تعيش مع والديها بمزرعتهما ، ففى أثناء وجودها هناك خرجت مع ابنتها ذات صباح لتلاعبها بالكرة ، وافلتت الكرة من الطفلة وانزلقت تحت البيت الذى كان يقوم فوق اعمدة .. ترتفع به عن مستوى الأرض التى بنى فوقها بعض الارتفاع .. واضطرت « ايف » أن تزحف على بطنها تحت البيت لتأتى بالكرة ، وما ان توغلت

في هذا الفراغ بعض التوغل الا وأحست بأن الدنيا تتغير امامها ، وخيل اليها أنها تحولت الى طفلة صغيرة ترتدى ثوبا أحمر جديدا وبصحبتها طفلة أخرى لم تستطع أن تتبين ملامحها لتقرر شخصيتها .. وكانت الاثنتان تلعبان تحت بيت مماثل تماما لهذا البيت ، والفتاة الغامضة الاخرى تحمل فى يدها فنجانا من الطين ، مزركشا على الطريقة القديمة .. ثم اختلطت الأمور فجأة أمام « ايف » واختفى الماضى بسرعة ، وعادت إلى طبيعتها ، فأتت بالكرة وخرجت بها إلى ابنتها .

وعندما قصت المريضة هذه الرؤيا على الطبيب ، حاول جهده أن يستخلص منها قصة الفنجان الخزفى ، ولكن ذاكرتها ظلت على عنادها ، ولم تسعفها .. عندئذ استأذنها فى أن ينومها مغناطيسيا ، ولما نامت أمرها أن تتذكر كل مالديها من قديم المعلومات عن هذه القصة ..

واستيقظت « ايف هوايت » ، وراحت تقص على الطبيب كيف كانت أسرتها تعتز بهذا الفنجان الذى ورثته أمها عن جدتها .. ولفرط خوفها عليه أمرت بألا تلمسه « ايف » أو تلعب به ، ولكن الفنجان تحطم ووجدت اجزاؤه تحت البيت ، ولما لم يكن بالبيت غيرها سوى ابنة عمها فلورنس المعروفة بالوقار والتهذيب فتركز الاتهام على « ايف » وتقرر انها الفاعلة ، وأدبت على ذلك بالجلد المبرح من أبيها .. مع أنها لم تكن قد كسرته، وأقسمت لوالديها ببراءتها من هذه الفعلة ، غير انهما لم يصدقاها ، واتهماها بالكذب ، لعدم وجود احد غيرها فى البيت عندما كسر .. وأنزلا بها العقوبة القاسية ، ولم يكتفيا

بالجلد بل خلعا عنها ثوبها الأحمر الجديد الذى أهدى لها بمناسبة عيد الميلاد . واعطياه لابنة عمها فلورنس ، وحرماها منذ ذاك اليوم من ارتداء الأحمر الذى كانت تحبه أكثر من أى لون آخر .

وبهذه البداية أخذت أحداث الطفولة تنكشف من خلال التنويم المغناطيسى ، فظهرت واقعة أخرى وهى حصول ابنة العم فلورنس على « عروسة » من الصينى فى رأس السنة ، وكانت عروسا رائعة الجمال من حيث الشكل والملبس وكانت ايف قد رجت والديها فى الحصول على دمية مثلها ، ولكنهما رفضا وفضلا فلورنس عليها ، ثم فوجئا بها محطمة علىٰ الأرض ذات مساء ، ولم يكن بالبيت سوى « ايف هوايت » فقط ، فوجهت اليها التهمة ، ومع انها اقسمت بأغلظ الايمان انها لم تلمسها أو تقترب منها ، فقد صدر حكم الوالدين عليها بالادانة .. وقررا انها الفاعلة ، وجلدت فى هذه الواقعة مرتين : واحدة لانها حطمت « العروسة » والثانية لانها كذبت واصرت على الكذب بانكارها التكسير .

وحدث بعد ذلك بفترة من الزمن أن وضعت أم « ايف هوايت » توأما بنتين كانت أكثر افراد الاسرة سعادة بهما هى « ايف » رغم انهما استوليا على كل اهتمام الوالدين ، ولم يتركا لها من حبهما ورعايتهما جانبا .. ولقد وكل الى الصغيرة برعاية الرضيعتين اثناء انشغال امها بأداء واجباتها المنزلية . وبينما كانت ذات يوم تقف بجوار مهدهما ، وليس بالغرفة احد سواها ، صرخت الصغيرتان بأعلى صوتهما

وانفجرتا فى بكاء ملح كادت انفاسهما تنقطع بسببه .. وأتت الأم جريا من المطبخ تستطلع الخبر فوجدت « ايف » فى مكانها وسيقان الصغيرتين تدمى بآثار عض شديد .

ووجهت التهمة بطبيعة الحال اليها ، فلم يكن بصحبة الرضيعتين سواها ، مما يقطع بأنها هى التى عضتهما بهذه الوحشية ، ومع انها بكت بحرقة ، وأقسمت أنها لم تفعل ذلك ، ولا يمكن أن تفعله نظرا لانها تحب الصغيرتين حبا لامزيد عليه ، ولس هناك ما يدعوها الى أن تؤذى احباء لها بهذه الصورة ، غير أنها اعتبرت فى هذه المرة كاذبة ايضا ، وعوقبت مرتين ، بالجلد على جريمة العض ، وبالحرق بالابريق الساخن على جريمة الكذب !!

وكانت « ايف » تسرد للطبيب مزيدا من هذه الاحداث فى كل مرة تحضر الى مكتبه بعد أن تنوم تنويما مغناطيسيا وتؤمر بأن تروى أحداث طفولتها .. ولقد استمرت فى نومها ويقظتها تؤكد أنها كانت بريئة تماما من الجرائم التى نسبت اليها وعوقبت عليها بغاية القسوة .

قالت للطبيب ذات مرة ، وهى تبكى فى هدوء كعادتها : لست أدرى إلى يومنا هذا لماذا كان أهلى يلصقون بى هذه التهم الشنيعة رغم انى لم ارتكبها بل ولم أفكر لحظة فى ارتكابها .

قال لها : ولكنك كنت الوحيدة دائما بالبيت عند حدوث هذه الاشياء .

قالت بمنتهى البراءة : أجل ، ولست أنكر ذلك .

قال : اذن كيف تفسرين ماحدث من تحطيم للعروسة والفنجان وعض للرضيعتين البريئتين ، ومن تتهمين بهذه الجرائم التى عوقبت عليها وأنت بريئة ؟

قالت بمنتهى الصراحة : لا أحد ، لم يكن بالبيت غيرى ، ولقد ظلمت أنا دون حق ، فكيف تريد منى أن أظلم غيرى ؟

وكان واضحا انها صادقة فى قولها .. فما هى الحقيقة إذن ؟

وكانت ايف هوايت قد اعترفت أثناء تنويمها مغناطيسيا انها كانت تحلم بالحصول على مثل هذه الدمية ، غير انهم أعطوها لابنة عمها جزاء استمرارها فى الكذب .. لكنها رغم ذلك لم تحطمها ، وبكت وهى مازالت نائمة ، وانسابت الدموع غزيرة من عينيها ، ولقد أيقظها الطبيب عندئذ ، وطلب اليها أن تعود الى بيتها وتحاول هناك مرة أخرى أن تسترجع ذكريات الماضى ، لعلها تصل الى حقيقة تفاصيل الحادث .

وبعد أيام معدودات من الزيارة ، تسلم الطبيب من مريضته رسالة تقول فيها : « لست أدرى لماذا انفعلت وأنا فى مكتبك اتحدث عن دمية فلورنس .. لم يكن يليق بامرأة مثلى أن تبكى كالاطفال مثلما فعلت ، فأرجو أن تقبل اعتذارى ، وتغفر لى هذا الانفعال العاطفى الصبيانى .. لقد طلبت الى ان أنقب فى ذكريات الماضى عن مزيد من المعلومات وهذا مافعلته بكل ما أملك من جهد ، لكنى لم أجد مايستحق الذكر ، فالدمية التى اعطيت لابنة عمى كانت أكثر

من رائعة ، واعجابى بها لم يقبل مزيدا ، وحين كنت ارى فلورنس تحملها بين ذراعيها وتهدهدها كان يخيل إلى أنها تحولت بالفعل الى طفل رائع .. ويعلم الله وحده كم حزنت حين وجدنا الدمية محطمة .. حزنت عليها اضعاف مابكت صاحبتها .. ومع كل ذلك فقد توهموا لأمر ماأننى الجانية ، والصقوا بى التهمة ، وقسوا فى عقابى على فعلة لم أرتكبها ، ومع أن سنين كثيرة مضت منذ وقوع هذه الحادثة ، ومحا الزمن معظم تفاصيلها ، غير أنى مازلت واثقة غاية الثقة ببراءتى ، وهذا كل ما أذكره ، وأرجو ان تجد فيه غايتك » .

والظاهر ان « ايف بيلا ك » عثرت على هذه الرسالة قبل ان تلقى بها صاحبتها في صندوق البريد ، فأضافت اليها بخطها الردىء وأخطائها الهجانية الفاحشة تقول فيها : « اسمع ايها العزيز .. هذه المرأة يلذ لها ان تتظاهر دائما بالقداسة والكمال .. وهى مغرمة بالالفاظ الجوفاء الكاذبة .. أما أنا فليست هذه طريقتي . وانت لابد تعرف اننى حطمت الدمية .. ولست آسفة إلى اليوم على مافعلت ، ولو أعطيت الفرصة لفعلتها مرة أخرى .. فلقد كانوا يقدرون « فلورنس » أكثر مما تستحق كأنها فتاة مثالية لايوجد لها شبيه فينا جميعا .. هذه المغرورة السخيفة .. لو انك رأيتها وهى تحمل الدمية بين ذراعيها وتهدهدها لعرفت فى الحال انها كانت تتعمد اغاظتى بها ، فحطمتها لكى أرد لها الصاع صاعين ، أنا اعترف لك بهذه الحقيقة لانك شخص لطيف جدا وتعجبنى كثيرا ، ولا أشك فى أنك تعرف حقيقة مشاعرى نحوك ، ولاتنس ذلك مطلقا ..

ملحوظة : آسفة لكتابتى الرديئة ، وللاخطاء الهجائية والنحوية الواردة فيها ، ولكنك تعرف بالطبع اننى لست ممن يتحذلقون فى الكتابة ، ويتظاهرون بالعلم والمعرفة مثل ماتفعل هذه الغبية « ايف هوايت » .

وكانت أول مرة يرى فيها الطبيب ما يدل على وجود ايف بلاك منذ طفولة توأمها فكيف حدث ذلك ؟

وبمعرفة هذه الحقيقة أصبح من الميسور أن يستفسر منها عن بقية التهم التى وجهت إلى « ايف هوايت » فى طفولتها ، وظلت إلى ذاك اليوم تؤكد براءتها منها .

وفى الجلسة التالية للمريضة ، استدعى الطبيب « ايف بلاك » وقد ظهرت عليها علائم الاكتئاب والحزن على غير عادتها المرحة الماضية ..

قال لها : أريد أن أعرف مزيدا من الحقائق عن أحداث طفولة « ايف هوايت » ولقد اعترفت فى الرسالة بمسئوليتك عن تحطيم الدمية ، فهل كانت الأحداث الأخرى من صنعك ؟

قالت فى غيظ واضح : ما هذا الهوس الذى تثيره مريضتك ، وما جدوى النبش فى الماضى ؟

قال : لكن معرفة الحقائق ضرورية فى علاجها .

قالت : وماذا تريد أن تعرف ؟

قال : قصة الفنجان الخزفى الذى اتهمها والداها بتحطيمه .

قالت : أنا الذى كسرته لاغيظ الاسرة ، فالوالدة كانت تثير

ضجة حول هذا الفنجان القبيح ، وتعتبره تحفة ثمينة لانها ورثته عن جدتها .. فانتهزت أول فرصة وخطفته وحطمته وأنا مختبئة تحت البيت .

ثم ضحكت عاليا وعادت إلى مرحها المعهود وقالت : ثم تركت لهم « ايف هوايت » تتلقى وعدها على هذه الفعلة .. وان كنت فى الحقيقة قد تضايقت كثيرا عندما استردوا الثوب الاحمر وحرمونى من لونى المفضل .. ولكن كل هذا لايهمنى فانا الآن آلبس الأحمر دائما فى جميع سهراتى الممتعة .

قال لها : والتوأم هل أنت التى عضضتهما ؟

قالت ضاحكة : طبعا ، فلقد شغل الوالدان بهما ، ولم يعد لديهما من هم أعز من هاتين الفأرتين القبيحتين .. الحب كله لهما .. العطف كله عليهما .. الرعاية كلها لهما كأن أحدا غيرهما لايعيش فى بيت الأسرة ..

وبلا أدنى مقدمات تبدل حال « ايف بلاك » .. اختفى مرحها وتلاشت خلاعتها .. وبدأ كأنها تهمس لنفسها بذكريات قديمة .. ولم يبق فيها شىء من معالم المرأة اللعوب التى عرفتها العيادة النفسية على مضى السنين الاخيرة .. تحولت الى مايشبه الطفل الصغير الحزين على أيام سعيدة مضت .. وانطفأ بريق التحدى فى عينيها ، وحل محله لون من العواطف البريئة الصادقة .. وقالت برنة الأسى : كنت أفكر فى أول مرة عرفت فيها عيادتك هذه ولست أعرف أيها العزيز كيف أعبر

عن مشاعرى نحوك ، فلقد بذلت جهودا صادقة وحاولت بكل طاقتك أن تساعدنى .. أتذكر ثوبى الأحمر ..

وهنا بدأت ألفاظها تختلط ببعضها بحيث أصبحت غير مفهومة ، ثم أخذت تبكى فألجمت المفأجاة الطبيب .. فلقد عرف « ايف بلاك » سنين متعاقبة لم يحدث خلالها مرة أن تغيرت شخصيتها لا فى الجوهر ولا فى التفاصيل .. ولم تكن الدموع فى يوم من الايام جزءا من حياتها ، لدرجة ان الحيرة أخذت الطبيب فى حقيقة هذه الشخصية ، وأى الثلاث تكون .. وأخذ يحدق النظر فيها متأملا ، فإذا بها « ايف بلاك » فعلا ، وليست احدى الشخصيتين الاخريين فكيف تغيرت بهذه الصورة ، وهى التى كانت لقسوة قلبها تفخر بجميع الالاعيب التى تسببت فى شقاء « ايف هوايت » ولم تبد فى أى مناسبة أدنى ندم على أفعالها ..

وازدادت ألفاظها اختلاطا ، وكان التغيير مفاجئا بحيث اربك الطبيب، ولكن شعوره الداخلى أوحى إليه بأن أمرا غير عادى بدأ يحدث أمامه ، فبقى فى مكانه مذهولا يرقب التعابير الرقيقة التى اكتسى بها وجهها وفاضت بها عيناها ، ثم ابتسمت فى أسى وقالت : « لست أدرى أيها العزيز مادهانى .. فانى أحس بأن الحياة تنساب منى ، وكأننى أتلاشى بالتدريج ، ولكن قبل أن أنتهى نهائيا أريد ان تعرف وصيتى الأخيرة .. أريدك أن تأخذ ثوبى الأحمر وتحتفظ به عندك ليذكرك دائما بى ، فأنت تعرف كم أحب هذا الثوب وأعتز به » .

وعادت ألفاظها تختلط مرة أخرى ، ولم يعد كلامها مفهوما او مسموعا ، ثم أسبلت جفنيها فى هدوء كأنها استسلمت

للنوم ، وعندما فتحت عينيها مرة أخرى كانت الجالسة أمامه هى « جين » بهدوئها ووقارها المحدود ، ولم يكن لدى الطبيب مايناقشها فيه ، فاستأذنها فى أن تسمح له باستدعاء « ايف هوايت » .

وما أن انتهى من طلبه هذا حتى تقلص وجه « جين » وتشنج عنقها ، واختفت بسرعة البرق مظاهر الهدوء النفسى التى كانت معهودة فيها ، واكتسى وجهها بالرعب المخيف ، وصاحت بأعلى صوتها تقول : « أمى ... أمى .. لاتجبرينى على ذلك .. حرام عليك ، فليس فى مقدورى أن أفعل ذلك ! » .

ثم امسكت راسها بيدها وأطلقت صرخة مخيفة بشعة اهتزت لها جدران الغرفة وظلت تصرخ حتى قام جريا إلى الغرفة المجاورة ، وعاد بزميله الذى يشاركه علاج المريضة لكى يرى بعينيه هذه الظاهرة العجيبة .

■ ١٠ ■

فوجىء الطبيب بالصرخة التى أطلقتها « ايف هوايت » وهى متقمصة شخصية « جين » ثم صياحها قائلة برعب واستعطاف يوجعان القلب : أمى أمى .. لاتجبرينى على ذلك . فأنا لا استطيع .. حرام عليك ياأمى أتركينى أرجوك . أرجوك ..

كانت الصرخة شيئا لايصدقه العقل .. شيئا رهيبا كأنه صوت يأتى من العالم الآخر ولا صلة له بدنيانا .. صوت بدائى فوضوى ليس فيه نبرة انسانية كأنه نحيب آلة بخارية ينطلق فى هدوء الليل ليهز ماحوله .

ورغم طول خبرة الطبيب فقد كان من المؤكد أنه لم يسمع مثل هذه الصرخة من أى واحد من مئات المرضى النفسيين الذين تعامل معهم منذ بداية ممارسته لمهنته إلى يومه هذا ..

وأسرع الطبيب إلى مكتب زميله يستنجد به ..

وبعودتهما إلى حيث تجلس المريضة كانت الصرخة قد أخذت تتلاشى تاركة وراءها مظاهر الانفعال الجنونى مرتسمة على وجهها .

وتسمرا فى مكانهما يتطلعان اليها فى ذهول وحيرة .

وتبادلا النظرات فى تساؤل واضح كأنهما يقولان : ترى من هذه المرأة الجديدة علينا .. انها ليست « ايف هوايت » ولا هى أيضا « ايف بلاك » ، كما أنها قطعا ليست « جين » ؟

ولم يجدا الاجابة على تساؤلهما فى الدقائق التالية ، فلم يبق مفر من أن يتوجها اليها بالسؤال مباشرة ولكن بعد أن تهدأ ثورتها .

وتركاها فى صبر إلى أن أخذت تستعيد هدوءها وتسترد سيطرتها على نفسها وتنفك عقدة لسانها ..

وعندما حانت اللحظة المناسبة ، تقدم اليها طبيبها المعالج بالسؤال ، فخبرته الطويلة مع المريضة فى شخصياتها المتعددة ، وأحاديثها الطويلة التى قام بتسجيل كل كلمة منها ، تؤكدان هذه الشخصية التى انفجرت فجأة مع الصرخة الممتزجة بالألم والعذاب والاحتجاج والرجاء ، ذات صلة وثيقة بجوهر الموضوع .. ببيت الداء الحقيقى الذى أصاب « ايف هوايت » بمرض ازدواج الشخصية :

قال لها : أأنت الآن على استعداد للكلام ؟

قالت : أجل ..

قال لها : من أنت ؟

قالت بعد تردد ممتزج بالأسى : لست أدرى !

قال لها : لماذا صرخت ؟

قالت : لما تبينته فجأة ؟

قال : وماذا تبينت ؟

قالت : عندما طلبت منى أن اسمح لك باستدعاء « ايف

هوايت » تبينت فجأة انني هى بذاتها .. عرفت انني لست « جين » بل « ايف هوايت » بلحمها ودمها !

ثم عاودها الانفعال ، فقالت وهى تبكى بحرقة : اين « جين » .. أين « ايف بلاك » .. لماذا ذهبتا ، وماذا حل بهما ؟ هل ماتتا ؟؟ أجل لقد ماتتا وانتهى أمرهما إلى الأبد !

وكان التفسير العلمى الصحيح للصرخة وما تلاها من حديث انها يقظة المريضة إلى حقيقة شخصيتها ، وتعرفها المفاجىء على نفسها وادراكها دون سابق تمهيد أو انذار من هى وما هى ؟

وأدرك الطبيبان أن معركة اكتشاف النفس ورؤية الحقيقة هو الذى أوجد هذه المرأة الجديدة أمامهما ، ورغم الاختلافات بين هذه الشخصية وسابقاتها ، وجدا انها أقرب إلى « جين » منها إلى الآخريين ..

ولابد أن تكون هذه المعرفة المفاجئة قد أصابتها بضيق نفسى بالغ ، وأطاحت للوهلة الأولى بشعورها بالاستقرار، فاهتزت فى داخلها اهتزازا يشبه انفجار البركان ، ثم تبعه شعور كأنه الحمم التى تسيل فى هدوء بعد الانفجار من فوهة البركان .

وسيطرت عليها بعد ذلك فكرة الموت ، وبسيطرتها صفا ذهنها أمام الاحداث التى مرت بطفولتها ، واستعادت ذكريات كان عقلها الباطن فى الماضى قد اخفاها تماما عنها .

قال لها طبيبها المعالج : ما اسمك ؟

قالت : لست أدرى تماما ..

قال : ولكن لابد أن نناديك باسم ما والا عجزنا عن استدعائك فى وقت الحاجة ، فأختارى اسما لك .

قالت بمنتهى الهدوء : « ايف هوايت » انه الاسم الذى يناسبنى تماما ..

قال : هل في مقدورك الآن أن تحدثينى عن السبب فى صرختك والسبب فى ضراعتك لامك أن ترحمك ؟

قالت : حدث ذلك فى صباح يوم من أيام طفولتى ، وكانت فى زيارتنا ابنة عمى فلورنس فخرجنا معا نلعب فى مخبئنا المفضل وهو فجوة تحت البيت ، فاذا بأمى تنادينى ، وتأمرنى أن أعود إلى البيت لاغير ثيابى تمهيدا لحضور جناز جدتى لأبى .

قال الطبيب : وأين كان الجناز ؟

قالت : عندنا ، فجدتى كانت تعيش معنا دائما ثم مرضت وتوفيت وتقرر دفنها فى ذاك اليوم .

وتهدج صوت المريضة وهى تستعيد ذكريات ماحدث عندئذ .

قالت : دخلت البيت فرأيت مجموعة كبيرة من النساء والرجال جميعهم يرتدون ثياب الحداد ، وينتحبون بصوت مرتفع اثار الذعر فى قلبى .. ثم حانت لحظة الوداع فهدأ النحيب وخيم على البيت صمت رهيب ، وامتلأ الجو بعبير الزهور المخصصة للمآتم والجنازات .. أتصدق يادكتور اننى مازلت اشم هذا العبير حتى هذه اللحظة ؟

قال استمرى .

قالت : وأمرتنى أمى أن أدخل إلى حيث أرقدوا جثة جدتى فأقبلها وامسح بيدى على جبينها ، فأصابنى رعب رهيب كاد يفقدنى عقلى .

قال : ولماذا امرتك بذلك ؟

قالت : لاعتقاد شائع بين أهلنا وجيراننا بأن رحلة الميت الى القبر لا تسهل وأن شموره لايهدأ إلا اذا قبَّله ولمس وجهه الاحباء والاقارب جميعا الصغار والكبار..

وتدفقت الذكريات وتتابعت ، فقصت المريضة كيف قاومت رغبة أمها وبكت راجية مستعطفة ، لكن الأم صممت على تنفيذ رغبتها متأثرة بتلك الخرافة الشائعة ، ولكى تجبر الصغيرة على الطاعة طوقتها بذراعيها القويتين ، وحملتها عنوة الى فراش الميتة ، وجعلتها تقبلها وتلمسها رغم حالة الفزع القاتل التى كانت قد استولت عليها .. فالموت كان فى ذهنها الغرير شيئا رهيبا لا تملك عقليتها الساذجة أن تفهم حقيقته او تستوعب فلسفته . خاصة وأنه حدث قبل الجناز بوقت قصير أن ضل متسول عجوز طريقه الى بيته ذات ليلة فسقط فى المستنقع الواقع تحت « الكوبرى » القريب من بيتهم ، وكانت أمها تحذرها وتخيفها دائما من الاقتراب من المستنقع بدعوى أن وحشا يختبىء فى مائه لافتراس كل من تسول له نفسه الاقتراب من مستنقعه .

ولم تكتشف جثة المتسول العجوز الا بعد أيام ليست بالقليلة ، وعندما انتشلت كانت الصغيرة تقف مع أهل القرية للتفرج ، فشاهدت الجثة المنتفخة المتعفنة التى نهشت الاسماك أجزاء منه فزادتها بشاعة على بشاعة .. وقد جسمت

هذه لرؤية فكرة بشاعة الموت فى ذهنها ، فلما أجبرت على تقبيل جثة جدتها ولمسها تضاعف المصاب وأفلت زمام الضوابط التى تسير نفسيتها .

ولقد كررت الصرخة مرة أخرى فى عيادة الطبيب عندما ارتفع الستار عن ذهنها ، وانتقلت صور الماضى من عقلها الباطن الى عقلها الواعى ، فعادت بها الذكريات الاليمة الى الماضى وجعلتها تعيش التجربة مرة أخرى .

وهكذا اطلقت صرخة اكتشاف الحقيقة زمام ذاكرتها ، وازاحت الضغوط التى ظلت منذ بداية مرضها الى الآن تشيع الضباب فى نفسها .

ومنذ ذلك اليوم أخذت تستعيد توازنها بالتدريج ، وفى كل مرة تزداد قدرتها على الحديث عن الماضى .

وبدا واضحا أن هذه الواقعة قد احدثت ـ بلا شك ـ شيئا ما، ولكنه شىء لم يستطع الطبيبان تحديده بالضبط ، فما هو هذا الشىء ؟؟

حاولا الوصول الى الحقيقة فلم يتيسر لهما ، وان كانا قد اقتنعا بأن الصرخة تعتبر علامة واضحة لمولدها الجديد ..

ولقد أخذت مرارا تحاول أن تشرح للطبيب ردود الفعل التى حدثت لها نتيجة لانقشاع الضباب عن عقلها الواعى باكتشافها انها ليست « جين » ولاغيرها ، انما هى « ايف هوايت » بذاتها ، وماتبع ذلك من عودة الاحداث القديمة الى الحياة ، ولكنها لم تستطع أن تزيد على ذلك .

وتبين الطبيب من أحاديثها المختلفة أن واقعة اكتشاف الذات قد احدثت فيها تحولا من الغرابة والعمق ما أعجز لسانها عن التعبير عنه .. ثم لاحظ أيضا أن المريضة بعد زوال فترة الرعب التى انتابتها والذهول الذى تبع ذلك ، اكتسبت أو أظهرت قدرات وكفاءات ومهارات جديدة - منها الثقة بالنفس - لم تكن معروفة فيها من قبل ، ولم يسبق للطبيب او الميحطين بها فى حياتها الخاصة رؤيتها .

فهل حدث ذلك حقيقة ؟ وهل حدث فى شخصية المريضة تغيير « جذرى ؟ أو أن هذه الظاهرة .. ظاهرة الاتزان والقدرات ، ليست فى الواقع الا شخصية جديدة للمرض . الذى لم تصلح الحيل الطبية فى علاجه الى الآن ؟

وكان أكثر مايلفت النظر فى التحول الذى حدث لها أن الشخصيات الثلاث اللاتى ظهرت لها كانت كل منها تعتبر نفسها شخصية منفصلة تماما عن الآخريين ، ولكن هذه المرأة الجديدة فى محاولاتها الجادة للعثور على نفسها ، تبدو مرتبطة تماما بزميلاتها .. وقد بدأ هذا الارتباط تلقائيا ، وليس نابعا عن تفكير او اقتناع ، كذلك لم تفعل مافعلته الآخريات من رفض تام لتجارب الماضى وأحداثه ، والاصرار على طمس ذكرياته .

واعترفت المريضة فى شخصيتها الجديدة الغامضة انها تبكى كل ليلة بحرقة بعد عودتها من لدن الطبيب .

قال الطبيب : لماذا تبكين ؟

قالت فى أسى واضح : منذ تبينت من أنا ، واتضح لى

أنني « ايف هوايت » ولست « جين » أو « ايف بلاك » انتابني فجأة شعور موجع بالوحدة والفراغ .. وكلما تذكرت « ايف بلاك » على وجه التخصيص يغلبني الحزن الشديد فتنهمر الدموع من عيني مدرارا .

قال : ولماذا تثير ذكراها بالتخصيص هذا الحزن الشديد ؟

قالت : لان مواجهة الحقيقة كانت أصعب من أن استطيع احتمال وجيعتها .. فلقد اختفت الاثنتان فجأة من حياتي ، ولم يعد لهما وجود .. وألمي لفراق « ايف بلاك » طغى على كل ألم سواه لقد أحزنني هذا الفراق كثيرا ، ولسوف افتقدها كثيرا ، وأظن يادكتور أنك سوف تفتقدها أيضا ، أليس كذلك ؟

قال : أليس في إمكانك أن تعتبري أن « ايف بلاك » لم تفقد وتتنته كما يتصور لك ، بل أنها اندمجت فيك وبعثت من جديد ؟

قالت : لا أظن .. أو انه ليس في مقدوري أن أتصور ذلك في الوقت الحاضر .. ربما فيما بعد ، فقد كنت أعيش معها و« جين » مثل اختين لي في غرفة واحدة لايحجبني عنهما سوى ستار شفاف اراهما من خلاله فآنس بهما ، ثم اذا بالستار يرتفع فجأة دون توقع أو تمهيد ، واذا بي أجدني وحيدة بين جدران .الغرفة لا انيس لي ولا جليس .

قال الطبيب : هوني على نفسك ..

قالت : ليتني ادركت يوم الصرخة وأنا في عيادتك انها اخر مرة آراها فيها ، ولعلك تذكر كيف انهارت فجأة ، وانخرطت

فى البكاء لأول مرة فى حياتها .. « فايف بلاك » لاتعرف الاسى ولا الدموع .. كان يجب أن أفهم من حديثها لك انها تودعك الوداع الأخير ، وأنها برجائك أن تذكرها دائما بالخير وأن تقبل ثوبها الأحمر كانت تحرر وصيتها الأخيرة ، لأنها على يقين من أنها لن تراك مرة أخرى .. لم أكن أتوقع أن تنهار هكذا ، وهى التى لاتعرف سوى المرح والابتهاج والمعاكسة ، وليس أبرع منها فى مجابهة المأزق والشدائد ومهارتها فى الهرب منها ..

قال الطبيب : لقد أحسست أنا أيضا كأنها تودعنى ..

قالت : ومن دواعى أسفى أنهم حرموها فى صغرها من الثوب الأحمر الذى كانت تحلم بالحصول عليه .. الثوب الذى كانت تعتزم أن ترتديه في عيد الميلاد وتذهب به إلى السينما.. انها لقسوة بالغة أن يفعلوا بها ذلك .. على كل حال لقد أبلغت أسرتى برغبتها فى أن تعطيك الثوب الأحمر كهدية تذكرها بها ، فرحبوا بهذا الأمر ، وكلفونى بأن أقدمه لك ، ولسوف آتيك به في الزيارة القادمة راجية منك أن تقبله .

قال الطبيب : بل أفضل أن تأخذيه أنت وتعيدى حياكته بالقدر الذى يمكنك من ارتدائه فى بعض المناسبات الخاصة ..

قالت : غير ممكن ، فأنت لم تر الثوب الأحمر ، ولو كنت رأيته ما اقترحت ذلك . أنه مصنوع من الحرير الأحمر الفاقع اللامع ، وهو عارى الصدر والظهر والذراعين ولايصلح الا لنساء الليل فى المنتديات الليلية .. ولن يكون فى مقدورى أن أرتديه فى يوم من الأيام .

قال : لأنه أحمر ؟

قالت : ليس من أجل اللون فقط ، بل العرى وعدم وجود نسيج يمكن أن نغطى به الفتحات .. تأكد يادكتور أنه ثوب غير صالح للتعديل ، ثم أنه لايليق إلا بالراقصات والمغنيات ، وأهل الليل ، ولايمكن لسيدة خارج هذه الدائرة أن ترتديه سوى « ايف بلاك » انها الوحيدة التى تجرؤ على الخروج به .

ومضت الأسابيع التالية ولامن تغير واضح يبدو فى شكل « ايف هوايت » ثم أخذ التغير يأتى ببطء وتدرج نتيجة لما اكتسبته بمرور الوقت من خلال عملية الاندماج من وضوح وتوازن .. وظهر فى « ايف الجديدة » ملامح وصفات واضحة من الاثنتين الآخريين فقد اصبحت من حيث المظهر والحركات ورنة الصوت والمبادىء والذوق والآراء كأنها الأخت التوأم « لجين » دون أن تكون هى بالضبط .. واختفت منها المميزات التى كانت « ايف بلاك » تنفرد بها مثل الصوت الاجش والاستهتار والتعلق باللهو والتلذذ بمعاكسة الناس ومضايقتهم .. ومع ذلك فقد كانت فى بعض اللحظات الخاطفة تبدو مثلها من حيث لمعان العينين وتدفق الحيوية وجاذبية الانوثة والجمال .. واختفى فيها بالمثل جميع الصفات التى كانت متأصلة فيها يوم ذهبت لأول مرة إلى الطبيب تطلب العلاج : الذلة والخنوع والاستكانة والسلبية . لكنها لم تفقد ولو ذرة واحدة من اصرارها على عدم التنازل عن حضانة ابنتها « بونى » ، والانفراد بخدمتها ورعايتها وتربيتها ، وان كانت قد رضيت ببقاء الصغيرة لدى جديها حتى يتم لأمها الشفاء التام .. وظلت تعد العدة وتخطط لهذا اليوم الموعود ، وكلما سألها الطبيب عن مشاعرها نحو « بونى » تقول : كيف

تسألنى مثل هذا السؤال ، اننى احس انها ابنتى ، وانها لى وحدى .. لقد احببتها من قبل ولكن ليس بهذا القدر الذى أحبها به الآن .. انه حب أقوى وأعمق وأكثر أصالة وارتباطا ..

واحتفظت « ايف هوايت » الجديدة باهتمامات « جين » بالشاب « برت لانكستر » .. الرجل المهذب الذى سبق أن عرفها وأحبها فى أسوأ حالاتها وحين كاشفته بمرضها ازداد تمسكا بها ولم يقبل مطلقا أن يتخلى عنها ..

وتزايد الارتباط بينها وبين « برت » عما كان عليه أيام « جين » حيث كان تعلقها به نظريا أكثر منه حقيقة واقعة تنبع من ذهنها وقلبها على السواء .. ولكن دون الاندفاع فى توثيق هذه الصلة قبل الوقت المناسب ، وهو الشفاء التام .

ولقد دلت الاختبارات التى أجراها الطبيبان على المريضة أن « جين » هى شخصيتها الحقيقية أيام كانت طفلة صغيرة ، أو هى الأصل فى « ايف » قبل أن يصيبها المرض ، اى قبل حادث المتسول الغريق وجناز الجدة .. ولكن الأمر الوحيد الذى كان يشغل بالهما عند الوصول إلى هذه الحقيقة ، هو السبب فى أنها اختارت اسم « جين » وكان الواجب أن تسمى نفسها « ايف » .

ومرة أخرى اضطر الطبيبان لاستدعاء والدى ايف وابنة عمها فلورنس ، وبسؤالهم عن مصدر « جين » اعترفت الأم بأنها كانت تدللها بهذا الاسم عندما تطيع الأوامر وتبدو طيبة ،

أما إذا أصابتها حالة الانفصام ، وأخذت تأتى أفعالا شريرة وتقسم بعد ذلك بأنها لم تفعلها ، كانت الأم عندئذ تناديها باسمها الحقيقى « ايف » .

وأكد ذلك ما وصل إليه تفكير الطبيبين من قبل أن « جين » فى قصة حياة المريضة هى السابقة و« ايف » هى اللاحقة والمكملة أثناء المراهقة والشباب ..

ومع كل ماتوصل إليه الطبيبان من حقائق بقيت أمامهما فترة تحتاج إلى أن تملأ لتكتمل الصورة ، وهى أن حادثة المتسول الغريق ومن بعدها موت الجدة لاتكفيان مطلقا لاصابتها بالدمار النفسى الذى لحق بها .. ولابد أن يكون هناك شىء آخر يكمل الصورة . أو يبدأ بالمشكلة التى انتهت بتعدد شخصياتها على النحو الذى ظهر ، واثارة المخاوف فى صدرها الغرير البرىء دون أن تستطيع بطفولتها أن تحلل هذه المخاوف وتفهمها .

وعاد الطبيب إلى الوالدين والأهل يستعيد معهم أحداث الفترة الأولى من حياتها ، فظهر أن التوأمين ولدتا قبل قصتى المتسول والجدة بخمسة أشهر تقريبا ، وبمراجعة الأفعال التى كانت ترتكبها « ايف بلاك » معهما من عض وضرب وايذاء تبين ان الطفلة فجئت بإعراض الوالدين عنها وتركيز اهتمامهما وحبهما فى المولودتين الجديدتين ، وهذا ما أحدث التدمير الأول الشديد فى نفسيتها ، وغرس بذور الانفصام ، ثم جاءت الاحداث التالية بمثابة القشة التى قصمت ظهر البعير ، نتيجة لتراكم عبء المشاكل التى لايستطيع ذهنها

القاصر ان يستوعبها ويحللها ، مما أدى الى الاطاحة بتوازنها .

ومما استوقف اهتمام الطبيبين وهما يحاولان تقييم كل مشكلة من مشاكلها ، تبين لهما أن مولد التوأمين وإن كان الأصل في المرض غير أن حادث الجدة هو أشد مشاكل حياتها مدعاة للألم والخوف .. ورغبة فى الوصول إلى الحقيقة بعث فى استدعاء الوالدين مرة ثالثة وطلب إليهما أن يستعيدا أحداث يوم الجناز ، فأكدا كل كلمة مما قالته « ايف » من قبل ، وأضافا إليه انها اصيبت فى ذلك اليوم باغماء شديد ، وطاردت نومها بالليل ابشع الكوابيس ، فكانت تستيقظ صارخة مرارا فى الليلة الواحدة ، وتظل تبكى وترتجف فى ذعر أبشع من أن يوصف .. ثم تلا ذلك سيرها أثناء النوم ، وهى ظاهرة لم يعرفاها فيها مطلقا قبل الجناز ، ولكن هذه الظاهرة أخذت تتلاشى بالتدريج فى مرحلة المراهقة ، وانقطعت تماما عند ترك « ايف » البيت وسفرها إلى بلدة أخرى لاستكمال تعليمها ثم العمل .

وبعد أن تأكد الطبيب المعالج من صدق « ايف » فى روايتها لأحداث يوم الجناز ومتعلقاته ، أراد أن يستكشف نوع العلاقة بينها وبين جدتها لوالدها ، لعل فى معرفة نوع هذه العلاقة ماينير الطريق إلى مزيد من خفايا عقدها ومتاعبها .

سألها الطبيب ذات يوم قائلا : حدثينى عن جدتك :

قالت : وماذا تريد ان تعرف عنها ؟

قال أى نوع من الجدات كانت ؟

قالت : وماذا تعنى بذلك ؟

قال : أكانت جدة لطيفة مرحة تحب الأطفال وتلاعبهم وتعرف كيف تسليهم ؟

قالت : لست واثقة بذلك ، فلقد ماتت جدتى وأنا صغيرة جدا ، وذكراها مطموسة تماما فى ذهنى ؟

وأوضح هذا الكلام ان ذكريات الجدة وان كانت قد انطمست تماما من ذاكرة « ايف » غير ان حادث الجناز وحده ظل حيا بجوهره وتفاصيله .

وفى هذا الاطار وجد الطبيبان لزاما عليهما ان يقودا المريضة بمنتهى الحذر أثناء جلستهما معا ، وان يتجنبا الضغط عليها بالحقائق التى عرفاها من والديها وأقاربها وأصدقائها خشية النتائج ، فيحتمل جدا ان المفاجأة لاتدفعها الى التذكر نظرا لانها امور محزنة موجعة فى نفس « ايف » ولابد أن تكون كذلك بدليل أن العقل الباطن احتواها واخفاها عن العقل الواعى .. فينجم عن ذلك أن تؤدى المواجهة إلى شحذ سنان الألم ومضاعفة محنته بدل ازالتها .

وبناء عليه قرر الطبيبان أن يتناولا الاحداث واحدا بعد واحد بأسلوب غير مباشر يعينها على التذكر من تلقاء نفسها ودون ضغط خارجى .

■ ١١ ■

كان من المؤكد علميا أن حادثا واحدا مهما بلغ شأنه لايستطيع وحده أن يحدث الدمار الشديد مثل الذى أصاب نفسية « ايف » ، ولقد ثبت بعد ذلك من البحوث والأحاديث المختلفة مع الأطراف المعنية أن قصة المتسول الغريق فى المستنقع ، وانتشال جثته المنتفخة المتعفنة المشوهة على مرأى من الطفلة الصغيرة قد أصاباها بصدمة عنيفة ، وقد تلا ذلك ماحدث يوم جناز الجدة ، ولكن الحلقة الأولى لهذه السلسلة المحزنة اتضحت بمعرفة ماترتب على مولد التوأم قبل ذلك من شعور « ايف » بالوحدة والاهمال وأعراض والديها عنها ..

أما لماذا لم يظهر المرض واضحا الا بعد مشاهد الموت التى رآتها ماثلة فى المتسول والجدة ، فمرجعه إلى الصورة البشعة المشوهة التى تغرس بذورها فى نفسية الابناء .. فتقصير الآباء والأمهات فى تلقين الصغار أسس الحياة ، يعطيهم فكرة خاطئة .. فبدل أن يلقنوا أن الموت مجرد حقيقة طبيعية من حقائق الحياة ، وهو أمر واقع يجب أن نواجهه ونتلقاه ونتقبله بهدوء ودون انفعال شديد .. هذا التقصير

التربوى يؤدى بالاطفال الى اعتبار الموت عقوبة ، بل أقصى عقوبة ، وهى فى نظرهم بمثابة حكم الاعدام الذى يصدر على القاتل والخائن والمخرب ، فمثل هؤلاء الاشرار ينالون بالاعدام جزاء شرورهم ، لأن اتيان هذه الشرور يستوجب سرعة استئصالهم .

وهناك أمثلة كثيرة تؤيد هذا الكلام . فالطفل الذى يهمل نصائح والديه بضرورة توخى الهدوء فى قيادة عجلته والابتعاد بها عن الازدحام ، كثيرا مايتعرض لحادث يودى بحياته او يصيبه بأذى جسيم ، عندئذ تضرب به الأمهات مثلا لاطفالهن ، ويرجع موته إلى مخالفته أوامر والدته .. كذلك الشاب الذى يتجاهل قوانين المرور فى قيادة السيارة فتبرير موته فى حادث يأتى دائما كدليل على أنه ارتكب ذنبا فاستحق العقاب اللازم وهو الموت .. وفى معظم العقائد والأديان يقرن الموت للعصاة بالعذاب الابدى فى الآخرة ، ولا فرصة للنجاة منه سوى عفو الله ورحمته .. ومع أن الطفل يعرف انه بارتكاب الاخطاء أو عصيان الأوامر لن يترتب عليه قيام أهله باعدامه عقابا له ، ولكن يؤمن فى قرارة نفسه وعن يقين بأن العقاب الذى يقف فى انتظاره أكبر كثيرا من رغبات الأهل وارادتهم ، ولذلك نجد الانسان الكبير الناضج كثيرا مايغلبه الخوف من الموت فيلجأ الى التدين ، ويغير أسلوب حياته على سبيل التكفير عن اخطائه وذنوبه ، ويفتح فى وجهه أبواب الأمل فى تخفيف العقوبة التى ينالها عند موته .. والكبار عندما يهددون الصغار بعقوبات الدنيا إنما يجسمون دون أن يقصدوا فكرة اقتران الموت بالعذاب ..

والعكس هو الأفضل والاسلم . فمن أهم قواعد الأمان النفسي الذي يجب أن يحيط بالطفل خلال تكوينه التربوى فى المرحلة الأولى من عمره ، أن تقوم هذه القواعد على مبدأ البقاء ، وهذا لايتأتى إلا إذا محوا من قاموس أحاديثهم مع صغارهم كل ماينم عن التهديد بالموت أو مايأتى به الموت من عذاب .. فالطفل بعقليته الساذجة المحدودة القاصرة لايستطيع أن يحلل أو يوضح تصوراته ومخاوفه وأفكاره ، بل هو يقف عند الخطوط العريضة منها ، أى عند رءوس المواضيع دون غيرها .. والأمر بالمثل فى الكبار فالخطر كل الخطر عليهم أن يستسلموا للتفكير فى الموت ومايستتبعه والا تحركت فيهم مخاوف الطفولة وتجسمت بدرجة تطيح بتوازنهم النفسى والعقلى .

وغنى عن البيان أن طيبة « ايف هوايت » وتخاذلها وتدينها وحرصها الدائم على ارضاء كل من حولها ولو كانوا المتجنين عليها ، إنما جاءت لرغبتها المتأصلة فى نفسها منذ الطفولة فى النجاة بنفسها من العذاب الذى يأتى بعد الموت عادة لعقاب العصاة المخطئين .

ومن المعروف علميا أن الرغبات المكبوتة التى تهرب بها النفس بعيدا عن العقل الواعى وتخفيها بين طيات العقل الباطن ، تعمد الى الالتحام والاتحاد فى أعماق النفس مما يؤدى إلى أضرار نفسية بليغة .. فهى تربك النفس وتهز العقل وتدفع صاحبها إلى اتيان تصرفات شاذة مثل المداومة على غسيل اليدين او تبتليه بأمراض وهمية مثل العمى الكاذب

والشلل الوهمى ، أو إذا كانت الحالة حادة يكون تمزق الشخصية الواحدة وانقسامها إلى شخصيات متعددة .

وهذا مايسميه علم النفس « بالشيزوفرانيا » أو انفصام الشخصية .

وهذا أيضا هو ماحدث للطفلة « ايف » فالمؤثرات التى حدثت يوم رأت جثة المتسول الغريق ، ثم ماتبعها من احداث جناز جدتها ضخمت فى نفسها الموت ، ولفرط رغبتها فى الهرب من العقاب ، حاولت بكل ماتملك من جهد أن تكون طيبة فعمدت بغاية الصرامة إلى مقاومة مشاعرها الحقيقية وكبت رغباتها الطبيعية ، ولقد أفلحت هذه السياسة فى جعلها المرأة الطيبة ، المسالمة المغلوبة على أمرها .. تلك القديسة التى رآها الطبيب عندما دخلت عيادته للمرة الأولى ، وما اكدته له فى احاديثها المختلفة من رغبتها فى اسعاد الآخرين حتى ولو كلفها ذلك ان تعانى الظلم الفادح بنفسها وتجلب التعاسة على حياتها .. ففى قرارة نفس هذه القديسة كانت الرغبات الطبيعية تختفى بين طيات عقلها الباطن دائما فى تطاحن وغليان وثورة ، حتى تم الالتحام المدمر بينها وبين هذه الرغبات ، وأمكنها أن تخرج فى الشخصية التى تلائمها وهى شخصية « ايف بلاك » .

فالانسان منذ خروجه إلى الحياة يحمل فى صدره عناصر شخصيات متعددة : فيها بذور الخير ، وبذور الشر .. بذور الطاعة والاستقامة وبذور العصيان والاستهتار ، ولكن نوع التربية التى يتلقاها الطفل مع ظروف البيئة المحيطة به هى

التى تغلب كفة على كفة نتيجة للاندماج او الالتحام الذى يحدث للاتجاهات المختلفة .. ويظهر الجانب الأقوى ، ويكون بمثابة القائد الذى يعرف نفسه فقط ، ولايدرى شيئا عن الفروع الكامنة بين طيات العقل الباطن .. وهذا القائد يصدر أوامره الى الجهاز كله . ويعمل على أن يتجه به إلى الناحية التى يريدها ، والتى قد لاتريدها الاتجاهات الاخرى الخفية ، فيكون التطاحن الذى لابد ان يؤدى إلى التمزق .

وهذا ماحدث « لايف » ..

فلقد خلقت وكلها رغبة فى المرح والاستمتاع بمباهج الحياة لكن صرامة والديها فى تربيتها ، وتهديدهما الدائم لها بالعقاب ، وحرمانها من أبسط الملذات وأشدها طهرا وبراءة بدعوى أن الملذات تخالف تعاليم الدين وتغضب الله ، وأنه لارضاء الرب يجب ألا تمرح ولاتضحك ولاتلبس اللون الاحمر ولاتختلط بأطفال الجيران خشية أن يفسدوا أخلاقها .. كل هذا الكبت لرغباتها المشروعة البريئة دفعها إلى ارتداء مسوح القديسين ارضاء لوالديها ولربها الذى يصوره لها ابوها وأمها فى شكل صارم قاس ، ويأمرانها بالتضحية كل التضحية فى سبيل ارضائه .

وفى حالة « ايف هوايت » تغلبت ناحية الاستسلام والطاعة وحرمان النفس على جميع النوازع الأخرى ، فظلت هذه النوازع فى مخبئها حية نشيطة تتحد وتتلاحم ، ولما عجزت هذه النوازع عن التغلب على الأخرى ، ترتب على ذلك « التطاحن النفسى » أن أصيبت « ايف » بانفصام الشخصية ، واصبحت امرأتين : احداهما كما يريدها أهلها ،

والاخرى كما تريد أن تكون فى قرارة نفسها .. فالشخصية الأولى هى شخصية المطيعة المتدينة ، والشخصية الثانية هى النوازع التى قويت الى درجة مكنتها من أن تخرج أحيانا فى صورة « ايف بلاك » الجميلة المرحة الخليعة الشقية ، ولقد تسببت هذه الصفات المثيرة فى أن تظهر « ايف هوايت » ممسوحة الشخصية لاتثير اهتماما ولاتستوقف انظارا ولاتجتذب قلوبا .

ومن الحقائق العلمية الثابتة ايضا ان المتاعب النفسية للانسان تبدأ فى الطفولة من خلال علاقة الطفل بوالديه ، ولقد بدا ذلك واضحا فى حالة « ايف هوايت » التى ظلت طول سنوات العلاج تردد وهى مستيقظة أو نائمة مغناطيسيا آيات المديح لوالديها ، وتؤكد حبها لهما ، وترسمهما فى صورة مثالية وتحمل نفسها اللوم كل اللوم فيما كانا ينزلان بها من صنوف العقاب حتى على الأخطاء التى لم ترتكبها .

لكن « ايف بلاك » كانت تردد العكس تماما كلما ورد ذكر الوالدين فى احاديثها مع الطبيب ، كانت تبدى دائما شعورها العدائى نحوهما ، وتؤكد انهما لم يكونا فى يوم من الايام أبوين طيبين وأن الأب رغم عيوبه كان أخف وطأة من الام المستبدة القاسية .. وباستدعاء الطبيب للوالدين لمعرفة الحقيقة تبين من حديثهما ان « ايف هوايت » فى طفولتها وقبل الأحداث المتتالية التى مرت بهم : مولد التوأم وانتشال المتسول الغريق ثم جنازة الجدة ، كانت على أطيب علاقة وثيقة بوالديها ، وبعد ذلك بدأت الخلافات تتعدد وتتوالى وبما

أن الأب لم يستطع أن يأخذ دورا عمليا فى تأديبها على ت بأنها وتمردها بسبب انشغاله ليل نهار فى عمله ، فقد وكل إلى الأم مهمة القيام بعملية التأديب مما ترتب عليه الشعور المكثف الذى تحدثت عنه « ايف بلاك » نحو الأم أكثر من الأب وأشد .

ولكن التغيير الواضح الذى حدث فى حياة الأسرة بدأ بمولد التوأم ، فقد اتجه اهتمام الوالدين الى البنتين الصغيرتين وانحصرت رعايتهما وعواطفهما نحوهما ، مما أجحف بحق « ايف » الصغيرة ، وأشعرها بالوحدة والألم رغم كل ما كانت تردده وهى فى حالاتها الطبيعية من مديح الوالدين ودوام تعلقهما بها وحنانهما عليها ، ومن شغفها الجنونى وحبها البالغ لاختيها الصغيرتين ، وسعادتها الغامرة بالقيام على خدمتهما .. غير ان « ايف بلاك » التى تعبر بشخصيتها عن حقيقة مشاعر الفتاة ونوازعها المكبوتة أعربت فى كل مرة خرجت منها عن كراهيتها الشديدة نحو التوأم ، ولم تتورع عن الاعتراف بأنها هى التى كانت تعض المولودتين وتعذبهما ، وعندما تجد أن الموقف قد تأزم ، تعود إلى الاختفاء وتترك « ايف » الطيبة لتتلقى العقوبات الصارمة.. على أخطاء لم ترتكبها .. ولقد بلغ من حدة كراهية ايف بلاك لهما انها لم تبد فى أى لحظة من لحظات أحاديثها مع الطبيب أدنى ندم على مافعلته .

وهنا يظهر بوضوح أن المشكلة الحقيقية لمرض تعدد الشخصية الذى أصاب « ايف » يبدأ خيطه الأول من مولد

التوأم وما ترتب على ذلك من حرمان الطفلة من القدر الضئيل الذى كانت تستمتع به من الحنان ، فمجىء هاتين الدخيلتين سلبها حقها من الرعاية والمحبة ، وكلفها بما ناء كاهلها الصغير من خدمتها ، والأدهى من ذلك أن الحدث الجديد أخرج الأم عن سياستها التقليدية التى طبعت « ايف » الصغيرة على الصرامة والجفاء .. وبينما استمرت هذه السياسة الخرقاء مع الأخت الكبرى ، تغير الموقف مع الأخريين ، فقد استولى التوأم على قلبها ، وتلهت فى حب الصغيرتين ولم يعد فى قلبها مكان لغيرهما .

وكانت « ايف بلاك » الى تلك المرحلة من حياة الأسرة لاتزال كامنة بين طيات العقل الباطن للصغيرة « ايف » لاتقوى على الخروج إلى أن استجدت عوامل أخرى ضخمت المضاعفات النفسية . ومن هذه العوامل اليوم المشهود الذى رأت فيه الصغيرة مع أهل البلدة رجال الانقاذ وهم يستخرجون جثة المتسول العجوز الذى أخطأ ذات ليلة طريقه فى الظلام الحالك ، فسقط فى المستنقع وغرق .

وكان منظره بشعا للغاية ..

بشاعة لم يسبق للصبية أن رأت مثلها .. كان منتفخا متعفنا التهمت الاسماك جانبا من وجهه ويديه مما أنزل الرعب « بأيف » حتى كاد قلبها يتوقف .

وكانت الأم قد اعتادت أن تحذر دائما « ايف » من الاقتراب من المستنقع أو اللعب بجواره ، ورغبة فى ابقائها

بعيدة عنه تخيفها بالوحش .. أو التنين الذى يختفى تحت مياهه فى انتظار من يقترب ليفتك به ويلتهمه .. وعندما عادت الصغيرة الى البيت وهى ترجف لما رأته ، اتخذت الأم مما حدث وسيلة لوعظ الفتاة ، وأكدت لها أن المتسول العجوز كان شريرا لانه لم يسمع الكلام بالابتعاد عن المستنقع ، وبذلك نال عقابه على عصيانه وشقاوته ولقى حتفه وهذا المصير سوف يلقاه كل من يعصى أوامر والديه ولايحترم رغباتهما .

إزاء ذلك بدأت « ايف بلاك » تتحرك فى العقل الباطن للفتاة ، قلقة راغبة فى الخروج ، ولكنها لم تستطع الى هذه اللحظة أن تجد لها منفذا .

ثم كانت وفاة الجدة ، ومافعلته الأم باجبار ابنتها الصغيرة على تقبيلها ومس وجهها البارد تحقيقا للخرافة التى تزعم أن الميت لايسهل طريقه إلى قبره ولايتأتى له الاستمتاع بالسلام الابدى مالم يودعه الاحباء .. الصغار منهم والكبار .. بالحنان الواجب.. وهذه هى القصة التى كشفت عنها صرخة « جين » فى عيادة طبيبها ، وصياحها قائلة : أمى .. أمى .. لاتجبرينى على ذلك .. حرام عليك ياأمى .. فأنا لااستطيع !

ذلك أن لمسة وجه الميت البارد قد أضافت إلى الرعب الذى انتابها برؤية جثة المتسول الغريق وماقالته أمها فى تبرير غرقه ، رعبا مضاعفا أحدث فى صدرها البرىء الساذج ما يشبه انفجار بركان نفسى يلفظ حمما تؤدى بكل اتزان لها ، بدليل الكوابيس التى عذبتها فى نومها عقب ذلك ، واستمرت لمدة طويلة ..

وهنا تقوت « ايف بلاك » ، وامكنها التغلب على الموانع والسدود التي وقفت من قبل دون قدرتها على التحرك ، فخرجت لكي تؤدب وتعاقب بأفعالها الشريرة « ايف » الطيبة .. أو البلهاء الحمارة كما كانت تسميها ، على ضعفها وخضوعها للاستبداد ، واستكانتها إزاء العذاب المستمر الذى تناله على يدى والديها ، وأمها على وجه التخصيص التي شاركت بالقدر الأكبر في تدمير نفسية ابنتها .

ومن ذلك الوقت اخذت « ايف بلاك » تواصل الخروج لتأديب « ايف هوايت » ومعاقبتها ، فكانت تنتقم وذلك بعض الطفلتين ، وتحطيم دمية فلورنس ، كذلك كسر قدح الشاى الثمين الذى كانت أمها تحرص عليه .. ولكى تضاعف من انتقامها من « ايف » الطيبة كانت تعمد بعد كل غلطة جسيمة الى الاختفاء فورا تاركة الطفلة البريئة تتلقى العقوبات القاسية على أفعال تؤكد أنها لم ترتكبها ..

وحقد « ايف بلاك » على الوالدين كان نتيجة هذا الاضطهاد والقسوة .

ولما كانت « ايف » الطيبة لاتعرف مطلقا بوجود الأخرى ، وتصاب أثناء خروج غريمتها بحالة من فقدان الوعى الذى يعجزها تماما عن معرفة مايجرى خلالها .. فقد كانت فى نظر نفسها .. وبكل صدق وأمانة بريئة تماما من كل ماينسب اليها ، ولكن الأب بواعز من الأم اخذ فى كل حادث تنكره يؤديها مرتين ، واحدة لارتكاب الغلط ، والأخرى لجريمة الكذب .

وتتقبل « ايف هوايت » العقوبات الوحشية بمنتهى الاستسلام ، معتبرة بينها وبين نفسها الواعية انها لابد قد اقترفت أخطاء يحق للأب أن يؤدبها عليها ، أو ربما تكون قد خرجت على ارادة الله فى أمر من الامور فسخر أباها لتعذيبها .

لكن توالى القسوة والظلم والتعذيب ، زاد « ايف بلاك » ضراوة ورغبة فى التفانى فى ايذاء الشخصية الأخرى ..

ثم كبرت الفتاة ، وشبت « ايف » عن الطوق واصبحت شابة ، وبذلك حان الوقت لأن تكمل تعليمها العالى وما تلاه من خروجها إلى العمل ، فانتقلت إلى بلدة أخرى بعيدا عن بيت العذاب الذى ذاقت فيه الأمرين خلال طفولتها وصباها .

وبابتعادها عن البيت والتوأم والوالدين ، انتفت الأسباب التى كانت تتيح للأخرى « ايف بلاك » الخروج والعربدة بانتقاماتها ، وفقدت القدرة على الخروج عبر العوائق والسدود التى كانت تقف دونها .. فاستعادت « ايف » اتزانها النفسى واستقرارها العاطفى ، وعاد مسارها الى الخط الطبيعى .. لم تعد تعانى من الصداع ولانوبات غيبة الوعى التى اعتادت أن تصيبها أثناء خروج « ايف بلاك » الى الناس والحياة المحيطة بغريمتها .

ولقد شهد كل من عرفها خلال هذه الفترة ممن عاشوا معها فى الفنادق الصغيرة او زاملتهم فى العمل ، انها ظلت دائما وفى كل لحظة من حياتها ، فوق مستوى الخطأ . طيبة .

شريفة . مسالمة .. تحرص على عدم اغضاب أحد ولو جاء ذلك على حسابها .. تعيش فى غاية التقشف والتقتير لكى توفر من راتبها المحدود قدرا يمكنها من أن ترسل الهدايا إلى والديها واختيها التوأم ، وقد حدث فى إحدى المناسبات ان أرسلت الى كل من أختيها معطفا جميلا وقضت ذلك الشتاء وهى ترتجف من البرد بسبب معطفها القديم الممزق .. وحدث فى ذلك الوقت أن قابلت « رالف هوايت » وابدى غاية اهتمامه بها ، فوجدت فيه خير رفيق وأنيس ، وعندما رجاها أن تتزوجه ، ابدت قبولها دون تردد وهى متفائلة بالسعادة التى تنتظرها عندما تعيش فى كنفه ، وتلقى كل أنواع الرعاية التى مناها بها ..

ولكن « رالف » رغم حسن سلوكه ودأبه على العمل وتفانيه فى أداء واجبه لم يكن بالرجل الذى تصورته « ايف » وظهرت عند معاشرته عيوب خلقية تجعل الحياة معه أبعد ماتكون عن السعادة . من ذلك حرصه الشديد على المادة ، واستغلاله الحقير لما طبعت عليه زوجه من انكار للنفس فى فرض أسباب التقشف عليها أكثر مما يستدعيه دخله الطيب . ولكثرة ماتتقبل رغباته صامتة راضية ، مال إلى الاستبداد والتسلط ، ولجأ إلى الصرامة فى إدارة دفة الحياة الزوجية ولم يعد يقبل كلمة أو رأيا مخالفا من زوجته .

وتمشيا مع سلبيتها المعهودة ، تقبلت « ايف هوايت » هذه الأوضاع راضية ، وعندما أخلف وعده قبل الزواج باراحتها من العمل ، فما أن عقد عليها إلا ودفعها إلى الخروج للعمل لمضاعفة دخله ، تقبلت حكمة طائعة رغم ماكان يكبدها الجمع

بين العمل فى الخارج والقيام بجميع واجبات الأسرة من ارهاق بدنى أوشك أن يهدها .. فقد كان المطلوب منها أن تشتغل فى وظيفتها سبع ساعات يوميا ، ثم تعود الى البيت لتكنس وتمسح وتطهو الطعام وتحيك ثياب الاسرة كلها حتى قمصان زوجها وملابسه الداخلية .. هذه الواجبات التى كانت تحصرها بين العمل والبيت لأسابيع متتالية ، وكم مرت عليها من شهور دون أن تخرج مرة واحدة ولو لفترة قصيرة جدا للترفيه عن نفسها ..

وعندما رزقت بأول مولود لها وهى « بونى » أضىء قلبها بسعادة الأمومة وحبها الجارف .. ومع أن هذه الضيفة الجديدة أضافت الى أمها أعباء جديدة غير أن « رالف » لم يرحمها من العمل الخارجى إلى أن سقطت مريضة ، وعندما أذن لها بالاستقرار فى البيت ، ضاعف من استبداده بها ، وتقتيره عليها بدعوى أن « بونى » تحتاج الى رأسمال يؤمن حياتها المستقبلة .

وبشعورها المكبوت بالشقاء الشديد ، وعجزها المعهود عن مواجهة مشاكلها ، عادت « ايف بلاك » الى الخروج لتعاقبها بأبشع صورة على تخاذلها واستسلامها .. وكان من ألوان تنكيلها بالزوجة المسكينة أن اشترت الملابس الخليعة التى كلفت « رالف » جميع مدخراته وفوقها ديونا يدفعها لعشر سنين قادمة .

كانت « ايف » تكره « رالف » كل الكراهية بعقلها الباطن ، وتتمنى أن تنفصل عنه بالطلاق خلاصا من الذل الذى تعيش فيه .

لكنها بعقلها الواعى تراه سيد البيت ، وصاحب الحق فى تصريف أمور الاسرة بالطريقة التى تحلو له . أما الطلاق فلم يطرأ لها ولو للحظة واحدة على بال ، وذلك لشدة تدينها وايمانها الدينى بأن الطلاق بغيض لدى الله ، ومن يأته يرتكب الخطيئة الكبرى التى تُحق عليه عذاب الدنيا والآخرة .

ولم تقف الأمور عند هذا الحد ..

فقد استفحل الشقاق بين الزوجين حين نكثت « ايف » بالعهد الذى قطعته على نفسها أمام القسيس يوم الزفاف ، والذى يقضى بأن تنشىء جميع الابناء الذين ترزق بهم من « رالف » على دينه الكاثوليكى ، لادينها البروتستانتى .. ولقد كانت صادقة مع نفسها عندما قطعت هذا العهد ، ولكن مجىء « بونى » غير الوضع ، ودفعها إلى أن تتراجع عما وعدت به ..

كانت تعرف أنها ترتكب خطيئة بنكث العهد .

ولكنها تشعر فى نفس الوقت انها ترتكب خطيئة أخرى إذا هى فرضت على « بونى » اعتناق الكاثوليكية قبل أن تكون لدى الابنة القدرة على الاختيار لنفسها .

وفجر الخلاف والمشاكل والتطاحن مرض « ايف » واصبحت « ايف بلاك » طليقة تفعل ماتشاء من الوان تأديب شبيهتها على تخاذلها عن اتخاذ المواقف الحازمة ، ورفضها الطلاق من زوجها الطاغية .. ومن هنا كان تفننها فى الاساءة اليها فى كل عمل تشتغل به ، ومحاولة تشويه سمعتها النظيفة بالتقاط الرجال من الطريق ، بل والهمس فى أذنها محرضة

على دفعها الى قتل زوجها « المجرم الحقير » ، وخنق ابنتها « الحشرة التافهة » التى يمنعها وجودها وحرصها على مستقبلها من الاقدام على تحطيم قيود الاسرة ..

معنى ذلك ان « ايف بلاك » ، لم تكن تظهر الا فى الأزمات النفسية الحادة وأن السواء والتوازن لم تستمتع بهما « ايف هوايت » الا قبل مولد التوأم ثم أثناء فترة بعدها عن أسرتها خلال دراستها العالية وعملها بالوظائف المختلفة .. أى فى مراحل السعادة القليلة التى كانت تمر بحياتها .

ولعل أقرب وصف يمكننا أن نصف به « ايف بلاك » انها كانت الصوت الخفى الذى تعاقب به « ايف هوايت » نفسها على ضعفها أمام العدوان الذى يقع عليها والعجز عن انتزاع حقوقها المشروعة من مباهج الحياة ومسراتها .

وأكبر دليل على صحة هذا الكلام أن « ايف » أول مابدأت تجد نفسها ، كان ذلك بظهور « جين » ، التى تمثل فى الحقيقة فترة البراءة والسعادة الأولى من حياتها .. ثم تلا ذلك ظهور المرأة الجديدة التى لم تكن تعرف نفسها ، وبضغط الطبيب عليها اختارت اسم « ايف هوايت » .. فالصغيرة « جين » هى طفولتها ، والمجهولة « ايف » هى شبابها وبقية حياتها .

وأول ظاهرة ترتبت على اندماج هاتين الشخصيتين اللتين وجدت فيهما « ايف هوايت » نفسها ، أن حزمت أمرها على طلب الطلاق فورا ، ولقد شجعها على ذلك ماعرفته من أن

« رالف » قابل « ايف بلاك » بعد انفصال زوجته عنه ، ورغم أنه كان يعرف بمرضها وعلى دراية تامة بشخصيتها الأخرى الشريرة ، وقع في الفخ ، وبمجرد أن وجد منها ملاطفة عرض عليها أن تقضى معه نهاية الاسبوع ، فرحبت « ايف بلاك » مقابل ثوب جديد يشتريه لها .. وبعد أن حصلت على الثوب قضت معه ليلة ثم اختفت من حياته غير آسفة ولانادمة .. ولم تتورع قبل رحيلها ان تكاشفه بحقيقة مشاعرها نحوه ، وقد وجدته فى الليلة التى قضتها فى احضانه مقززا منفرا فى علاقته الجنسية ، وأنها ما سمحت له بذلك الا رغبة فى الحصول على الثوب الأحمر الجديد ، ولكنها الآن وبعد ان حصلت على الثوب تجد أنه لم يكن يستحق « القرف » الذى عانته أثناء علاقته بها !!

وهكذا حطمت « ايف بلاك » كبرياء « رالف » وطعنته طعنة نجلاء فى صميم رجولته .

أما « ايف هوايت » فقد اعتبرت الحادث خيانة زوجية من « رالف » ، بل حطة فى أخلاقه أن ينتهز فرصة المرض ليرضى رغباته الجنسية منها .

وأسرعت برفع قضية الطلاق ، ولم يعارضها « رالف » فى ذلك بعد أن يئس تماما من احتمال عودتهما الى الحياة معا ، وعرف بحقيقة شعورها نحوه من خلال ماواجهته به « ايف بلاك » من صراحة موجعة .

وصدر الحكم بالطلاق ، فهدأت نفس « ايف هوايت » ،

واستعادت استقرار ذهنها ومشاعرها ، وعندئذ تحولت « جين » الطفلة الى « ايف هوايت » الجديدة الناضبة ، وبدا واضحا أن هذه الشخصية الجديدة تجمع كل فضائل الشخصيات السابقة ، فقد كانت تتحلى بطبيعة « ايف » الأولى وطهارتها ، ورصانة « جين » ورجاحة عقلها ، وجاذبية « ايف بلاك » وسحرها المجرد من الخلاعة والاستهتار والابتذال .

ولقد شاء القدر أن يتم سعادتها بالرجل الكريم ، « برت لانكستر » الذى سبق أن قابلها وهى لم تزل مريضة ، وعرف بما تعانيه ، ومع ذلك تقبلها على علاتها ، ورفض أن يتخلى عنها ، واثقا بأن حبه لها سوف يقودها ذات يوم الى الشفاء ، فيسعد بالحياة معها .

وعندما ثبتت الشخصية الجديدة ، واختفت الشخصيات الأخرى ، تزوجت « ايف » بحبيبها « برت » واستقرت فى حياتها معه باحدى المدن التى لا يعرف أحد فيها شيئا مطلقا عنها .

وبعد شهور من الاطمئنان والاستقرار .. جاءت بابنتها « بونى » من لدن جديها ، واشركتها فى الحياة معها ، سعيدة بحبها لها وبما يغدقه « برت » على الصغيرة من آيات الرعاية والحنان .

ولكن رغم الانتصار الطبى العظيم الذى حققه الطبيبان « كليكلى » و« تيجين » بعد علاج دام أكثر من سبع سنوات ،

فقد أكدا بصريح العبارة أن الشفاء الدائم لمريضتهما السابقة « ايف » ليس مؤكدا ولا مضمونا ، وأن أى هزة نفسية شديدة قد تعيد اليها الانفصام مرة أخرى ، وإن حدث ذلك فستكون نكسة رهيبة اقوى من أن تعالج ، وقد ينتهى الأمر فيها الى ايداع « ايف » مستشفى للأمراض العقلية حيث تقضى ماتبقى من عمرها .

ولكنهما لم يقطعا بذلك ، وقد يشاء حظها ألاّ تقابل هزة نفسية أخرى ، وعندئذ يكون احتمال بقائها سليمة مازال قائما ، والمصير كله فى يد القدر !

كتاب الهلال القادم :

هجرة اليهود السوفييت

بقلم :

د . عبد الوهاب المسيرى

يصدر : ٥ ديسمبر سنة ١٩٩٠

روايات الهلال تقدم :

حسناء بحر كورتيز

تأليف

بيتر بنشلى

ترجمة

عبد العزيز مصطفى

تصدر : ١٥ نوفمبر سنة ١٩٩٠

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية واحد وعشرون جنيها وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان سبعة عشر دولارا أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم خمسة وعشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية ، وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال ، وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عالية عند الطلب

● وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

الكويت : السيد / عبدالعال بسيونى زغلول ، الصفاة ـ ص . ب رقم ٢١٨٣٣
للحصول على نسخ من كتاب الهلال اتصل بالتلكس : 92703 Hilal.V.N

رقم الايداع : ٨١٢٢ / ١٩٩٠

I. S. B. N
977 - 07 - 0027 - 4

هذا الكتاب

«حواء ذات الوجوه الثلاثة» قصة واقعية تكشف نتائج قهر المرأة ، سواء فى ممارسة ما لا يتفق مع معتقداتها ، او نتيجة تسلط الرجل ورغبته فى جعلها شخصية أخرى بعيدة عن شخصيتها الحقيقية .

تقدمها للقارىء العربى الكاتبة الكبيرة أمينة السعيد التى تحمل مشعل الاستنارة وتخوض معركة دائمة دفاعا عن حقوق المرأة العربية وتكمل الدور الرائد الذى بداته السيدة هدى شعراوى .

والحالة التى تقدمها لسيدة مصابة بازدواج الشخصية وبدأ مرضها بصداع عنيف ينتابها وهى التى لا ينقصها الجمال ، وعجزت كل الوسائل الطبية عن علاجها وتأكد خلو جسدها من اى مرض يمكن ان يؤدى الى هذا الصداع .

وتبين الاطباء انها تعيش حالة تمزق حادة بين معتقداتها وحياتها ، وتعانى من تسلط زوجها ورغبته فى ان تكون شخصية اخرى غير التى خلقها الله ، وأن تغير من صفاتها الاساسية .

وقد اثار نشر هذه القصة ضجة كبيرة ، فى اوساط الطب النفسى ، بل وقامت الشركات السينمائية بتقديم افلام مستوحاة من هذه الحالة .

سانتو ٢٠٠٠

